يسوع

حوار مع المخلّص

تأليف
راهب من الكنيسة الشرقيه

إلى الابنة العزيزة مريم
بركة العذراء مريم تكون معك و
يسوع
ليلة عيد القيامة ١٩٦٦ القس [illegible]

صوامع المخلّص

"لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة مع الشكر
لتعلم طلباتكم لدى الله" في ٤ : ٧
"افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا" في ٤ : ٤

تأليف

راهب من الكنيسة الشرقية

إليك . . .

يا ربي . . .

ربى يسوع

دعنى أتقدم فى اتضاع لأهدى هذه التأملات، التى تولدت وترعرعت خلال سنوات طوال، على نفس الدروب التى سلكتها أنت أثناء حياتك على الأرض ، وفى نفس المدينة التى شهدت آلامك . هى ثمرة أورشليم وبحر الجليل ، ثمرة حياة برمتها .

ولكن لماذا أضيف أنا قطره إلى ذلك المحيط من الكتب التى تتحدث عنك؟ فلأجسر وأقول بكل بساطة: لأنى أحسست أنك كنت تأمرنى أنا أيضا أن أتحدث عنك ! « ارجع إلى بيتك وحدث ...» (لو ٨ : ٣٩) ، فانطلق الرجل الذى شفيته من الشياطين فى كورة الجدريين ، وبدأ يعلن محبتك له ، ورحمتك عليه .

ولقد كان أملى أن تنال بعض النفوس معونة باشتراكها معى فيما أعطيته لى حينما ثبت نظرى فيك ، وما سمعته منك حينما صمت لأسمع صوتك .

وهناك أمور كثيرة يتوقع القارىء أن يجدها هنا لم أتكلم عنها ، ذلك لأنى ما قصدت بإخلاص إلا أن أصف قليلا من

قسمات وجهك ، وقليلا من اللحظات التى قضيتها معك فى حوار شخصى ، إنه حديث عن خبرة شخصية خاصة ، لذلك فلن أستطيع أن أضيف إليه شيئا آخر ولا أتمنى ذلك . فلقد كنت أحس أحيانا - ويجب أن أقولها - أن كلمات وأفكار معينة أتت إلى من بعيد ، من علو يسمو جداً فوق نفسى .

ربى ... أشفق على خاطىء فقير ، تجاسر أن يتكلم عنك دون أن تطهر الجمرة شفتيه !

إنى أعلم أن كلماتى بلا قيمة - هى لا شىء ، وكل ما أرجوه هو أن تلمس نفوساً قليلة لتقودها إليك .

ربى ... قد قلوب القراء إلى نقطة فيها يتركون هذه الصفحات ، ويفتحون من جديد - أو ربما لأول مرة - انجيلك المقدس ، وإلى نقطة فيها يسمحون لكلمتك أن تدخل فى هدوء وسكون إلى قلوبهم .

مقدمة

+ إن موضوع هذا الكتاب أيها القارىء العزيز هو شخص « يسوع » ، وبدون مقدمات أو فلسفات ستجد الكاتب يدفعك إلى حديث مباشر بين يسوع وبين روحك .. والرب يردد لك هذا الحديث «اتبعني» . إن الكتاب لا يقدم لنا حديثا عن يسوع ولكنه يدفعنا إلى «تبعية يسوع» والدخول فى شركته . إنه بمجرد تصفحك الكتاب ستحصل على شعور عميق بأنك قد كشفت عن إناء مملوء بنعم الهية مقدسة ، وسيفوح حولك عبير سماوى من الانتعاش والطهارة والبساطة.

+ وهذا الكتاب فى طريقة الحوار التى يقدمها بين الرب يسوع والقارىء هى أعمق طريقة لدراسة الانجيل ، لقد ظهر الكثير من كتب التفسير إلى الدرجة التى أحيانا يؤدى التفسير العقلى إلى عدم إنسجام روحى مع الانجيل . الواقع إن أعمق أثر سيتركه هذا الكتاب فى نفس القارىء هو دفعه للدراسة العميقة للانجيل ، وتبعية يسوع ، والتلامس والدخول فى

شركة معه ، وهذه هى أمنية قلب الكنيسة أن يدخل كل ابن لها فى شركة حوار مع يسوع عن طريق الانجيل .

+ الكاتب ، راهب من الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية ، كتب باللغة الفرنسية ، والذى قام بترجمته للانجليزية راهب من الكنيسة الغربية ، والقائمان بالترجمة للعربية خادمان من الكنيسةالقبطية الأرثوذكسية - وهكذا حول شخص يسوع يلتقى الجميع فى وحدانية روح حقيقية . بعيدا عن وحدة المظاهر والشكليات الكاذبة .

+ لقد سبق للمؤلف أن نشر كتبا عن شخص «يسوع» مثل «صلاة يسوع» ، فيسوع هو عطية السماء للبشرية ، وقد صار لنا براً وقداسة وحكمة الله . شخص يسوع والتلامس معه هو الحل الوحيد لكل مشاكلنا - لأنه هو سلامنا - وخلاصنا وشفاؤنا ورجاؤنا وقيامتنا ... لأنه ليس اسم آخر به ينبغى أن نخلص إلا إسم يسوع الناصرى .

+ لقد رفض كل من المؤلف بالفرنسية والمترجم بالانجليزية ، ثم المترجمان بالعربية أن يذكروا اسماءهم ... حقا

إن في يسوع يذوب الجميع إلى جسد واحد هو جسد يسوع
«لأنه ينبغي أن ذلك يزيد وأنا أنقص»

+ والآن إلق جانبا الكتب الكثيرة المملوءة كلاما كثيرا واجلس في هدوء مع هذا الكتاب ، واضعا الانجيل أمام عينيك وبمجرد أن تبدأ في تأملك حول يسوع فان حياتك وبيتك سيمتلئان من عبير حلاوة يسوع .   آمين

الكنيسة

— ١ —

ولادة يسوع فينا

يبدأ الانجيل بسلسلة نسب يسوع المسيح (مت ١ : ١) .
لكن ما معنى هذه القائمة الطويلة من الأسماء العبرية ؟

إنها تشبع ضرورة عند اليهود بأن يروا فى المسيا ابناً لداود ، ولكنها تحمل معنى آخر ، ففى هذه السلسلة نجد قتلة وزناة ... وحين يولد المسيح فى قلبى ، فانه يولد وسط الخطايا المتراكمة ، فيسوع يخترق هذه الخطايا ويجد لنفسه طريقاً خلالها متسلقاً فوقها واحدة تلو الأخرى . إذن ، فهذه هى ولادته فى ، وفى هذا تشرق رحمته وتنازله ، بل وقوته أيضاً .

ثم إن مريم وهى تحمل يسوع فى أحشائها ، تمضى مع يوسف إلى بيت لحم ليكتتبا هناك (لو ٢ : ٣) . يسوع لم يرد أن يولد فى روما أو فى أثينا ، حتى ولا فى أورشليم ، بل يمكننا أن نجد سر ولادته فى القرية اليهودية الفقيرة ، ولهذا ينبغى أن نصعد إلى بيت لحم ونستوطن هناك لنكتسب ـ بل بالحرى لنحقق ـ روح اتضاع هذه القرية .

وفى بشارة الملائكة للرعاة لا نراهم يعلنون مجرد ولادة مخلص ، بل يقولون : «اليوم ولد لكم مخلص» (لو ٢ : ١١). يسوع إذن قد ولد من أجل كل واحد من هؤلاء الرعاة ، ليصير ميلاده حدثاً شخصياً فى حياة كل منا . يسوع هو عطية مقدمة لكل إنسان على حدة .

وكما أن مريم - وهى تحمل يسوع فى أحشائها - لم يكن لها ولا ليوسف مكان فى الفندق (لو ٢ : ٧) ، كذلك تلميذ المسيح لن يجد له مكانا فى فندق هذا العالم . ولسوف تكون راحة خطرة لو أننى وجدت لى مكاناً هنا . هل هناك أدنى شبه بين الفندق والمذود ؟!

لقد مضى المجوس فى طريق آخر إلى بلادهم بعد أن تلقوا تحذيراً فى حلم (مت ٢ : ١٢) ، إذ ينبغى أن يجتنبوا هيرودس . وبمعنى روحى : أن من قاده الرب إلى المذود يمكنه أن يرجع إلى بيته ووطنه ، ولكن فى طريق آخر ، أى أن دوافعه وميوله واتجاهاته ، وطريقة حياته ووسائلها لن تبق كما هى ، فحين نذهب إلى بيت لحم يجرى فينا تغيير جذرى .

لقد أعلن لسمعان أنه لن ير الموت قبل أن يرى المخلص (لو ٢ : ٢٦) . وهكذا أتنهد أنا طالبا هذا الامتياز ألا أموت قبل أن أرى يسوع ، لا بعيني الجسد بل بعين الإيمان حيث الرؤيا الحقيقية . أما بعد موتى فسوف أراه بطريقة أخرى .

لقد وهب لسمعان أكثر من أن يرى الطفل فقط ، إذ حمله على ذراعيه (لو ٢ : ٢٨) . ليتك ياربى تمنحنى أن أعانق الطفل عناقا روحيا !

ولقد أمر الملاك يوسف أن يأخذ الطفل وأمه ويهرب إلى أرض مصر (مت ٢ : ١٣) . وفى حياتنا توجد أوقات نكون فيها فى ضعف شديد بحيث يفضل أن نهرب من الخطر ونتنحى عنه . لكن ينبغى فى هروبنا هذا أن نأخذ معنا أثمن شىء ، نأخذ يسوع ، نأخذ الطفل فى صغره وضعفه ، فهو الذى يقوينا ويشددنا فى ضعفنا ، كما نأخذ أمه مثلما أخذها التلميذ الحبيب بعد الساعة التاسعة . وهكذا ارتبطت بابنها عن طريق سرى ، بالرحمة والمحبة .

— ٢ —

رؤية يســـوع

« نريد أن نرى يسوع » (يو ١٢ : ٢١)

هذا ما طلبه بعض اليونانيين من فيلبس الرسول ، وهذه هي الصلاةالتي أرفعها دائماً للروح القدس: أيها الرب الروح، دعني أرى يسوع !

«الأنقياء القلب يعاينون الله » (مت ٥ : ٨). هذا ماصار واضحاً في العظة على الجبل ، فيسوع لا يمكن أن يراه إلا أنقياء القلب الذين يتحركون مباشرة إلى عمق قلب الانجيل. إن رؤية يسوع ميسورة بالنسبة إليهم ، بينما هي عسرة بالنسبة لذوي النظرة المشوشة سواء بسبب الشهوات أو بسبب السعي المتهور إلى المعرفة البشرية المحضة . هؤلاء يجب أن يتعلموا من جديد نقاوة القلب ليتمكنوا من الحصول على النظرة المباشرة إلى يسوع .

إني أنظر إلى يسوع بقدر ما أتعلم أن أدعه ينظر إليّ، أي أنني أخضع نفسي لنظرته . فقبل دعوة المسيح الأولى

لسمعان بطرس « نظر إليه » (مت ٤ : ١٨) ، وكانت نظرته - حسب مدلول الكلمة اليونانية - مثبتة . وهذه هى نفس النظرة التى نظر بها يسوع إليه وهو خارج من بيت قيافا بعد أن أنكره (لو ٢٢ : ٦١) . النظرة الأولى ملأت قلب التلميذ فرحا ونوراً ، أما النظرة الثانية فقد جعلت التلميذ الذى خان معلمه يبكى بكاءاً مراً . إذن فهناك نظرات للمخلص تسبب بكاءاً ، وبدونها لن أستحق النظرات التى تسبب نوراً وفرحا.

إن شروط الرؤيا هى نفس الشروط التى طلبها يسوع من تلاميذه الثلاثة الذين أعطاهم أن يكونوا شهودا للتجلى (مت ١٧ : ١) . فلقد «أخذهم معه» وقادهم إلى «جبل عال» وكانوا « منفردين » . فلنكن إذن فى خلوة مع يسوع جاعلين أنفسنا تحت قيادته . ومع أن الصعود مؤلم وشاق إلا أن هذه الشروط تظل ضرورية فى المعتاد ، أقول « فى المعتاد » لأنه توجد حالات استثنائية مثل مقابلة شاول فى طريق دمشق (أع ٩ : ٣) .

إذن ، قلب الموضوع هو نقاوة القلب . والقلب النقى هو القلب الخالى من الشوائب (تماما كما نتكلم عن الذهب

بعد تنقيته) ، هو القلب الغير المنقسم والغير الموزع ، بل هو متجمع ومتكامل بكل أجزائه . إن عدم الطهارة - بالمعنى الحسي - صورة من صور التفكك . وقديما قالت الحكمة « ياابنى اعطنى قلبك » (أم ٢٣ : ٢٦) . القلب المعطى هو الذى يستطيع أن يرى يسوع ويدركه . يجب أن يعطى القلب عطاءا بلا تراجع ، عطاءا كاملا بلا عيب . الواحد ضد الكثرة ، إما يسوع وحده وإما لجئون . « إسمى لجئون لاننا كثيرون» (مر ٥ : ٩) هكذا أجاب الرجل الذى به الروح النجس عندما سأله يسوع عن إسمه .

يا بنى ... لقد كنت تطلب سعادتك الخاصة ، وهأنذا أقدم لك تطويباتى عوضا عنها . لقد أوضحت لك حياتك أن الطريق مغلق أمامك ما لم تعط قلبك عطاءا كاملا ، لذلك فطوبى لكم يا من أغلقت أمامكم كل الطرق التى ليست هى طرقى .

إننى حينما أنظر إليك ياربى يسوع ، أجد أننى لا أشعر بحاجة إلى سؤال أو جواب . شخصك وصورتك هما جواب مشبع وكامل . لذلك فحينما أثبت نظرى فيك أراك تكشف

لى كل شيء ، ومهما بدا هذا الكشف غامضا ـ فهذا ما لا بد منه الآن ـ إلا أن هذا الغموض نفسه هو لمعان يبهر البصر . لذلك فحينما أحصل على رؤيا واضحة لك ، فان كل شيء يصير واضحا لى .

إن كلمتك يا يسوع ليست وصفاً ولا تعليقا على ما ينبغى أن يوجد من ارتباط بيني وبينك، بل هى تخلق هذا الارتباط فعلا . إنها لا تعلمنى شيئا عن سلوكك ، بل هى توجد اتصالا حيا بينى وبين هذا السلوك . كلمتك يا ربى هى القوة المحركة للسلوك الإلهى فى حياتى .

إن كلمات المخلص هى إعــــلانات عن نعمته ، ويسوع فادينـا يتكلم فى ملاحظات يومية .... وهكذا نجد أن ظل الصليب ، لا بل نور الصليب ، يسطع على كل شيء !

— ٣ —

أنا هــــو الحق

يسوع هـو الحق وفيه كل الحق . وبقدر ما نكتشف الحق الذى فى يسوع فان كل الحق يكتشف . ويمكننـا أن

نطبق هذا على العلم والفن والثقافة الإنسانية ، فنحن ينبغى أن نرى العالم بعينى المخلص .

حين جاء تلميذا يوحنا يسألان الرب عن إرساليته ، لم يجبهما لا بالنفى ولا بالإثبات ، بل طلب إليهما أن ينقلا إلى المعمدان ما رأيا (مت ١١ : ٤ ألخ)

ولما اعترف بطرس أن يسوع هو المسيح ابن الله ، أوصاه يسوع ألا يعلن هـذا السر للناس (مت ١٦ : ٢٠) لأن على كل انسان أن يكتشف لنفسه سر يسوع . وحتى إن تعلمنا من الآخرين من هو يسوع ، ولو قام بذلك الخدام المنوطون بهذا العمل ، فالأمر يحتاج الى خبرة شخصية لكى نعرف من هو يسوع . وفى الواقع تحتاج جماعة المؤمنين الذين يعيشون حياة طيبة أن يجيبوا عن هذا السؤال : هل عرفت هذه النفس مخلصها ؟ هل عرفته كما يعرف الصديق صديقه ، وكما يعرف العريس عروسه بحيث تكشفت أعماق أحدهما للاخر؟ على هذا القياس نعرف المخلص الذى هو روحى أعمق من أنفسنا .

ويحدث كثيرا أن بعض المعلومات المكتسبة (والحقيقية

أيضا) المختصة بالمخلص ، تحل محل المعرفة الشخصية والعميقة له ، بل إن هذه المعلومات يمكن أن تكون حجابا بيننا وبينه.

ربى .. هل أنا أعرفك حقيقة ؟ أم أنا أعرف فقط ما قرأته وسمعته عنك ؟

ان الرب لا يريد أن ترتبط النفس وتتحدد بالرؤية الأولى ، فحينما رأى نثنائيل الرب آمن به ، ولكن يسوع قال له : « سوف ترى أعظم من هذا » (يو ١ : ٥٠) . إن فرحة الرؤيا لا ينبغى أن توقف الدافع اليها ، بل يجب أن تحركه نحو الاستمرار . وعلينا أن نستمر على الدوام طالبين يسوع الذى قال : « اطلبوا تجدوا » (مت ٧ : ٧) . ليس هذا فقط بل أيضا : لأنك وجدت فسوف تبحث أكثر . اننا لن نكف عن البحث عن يسوع الا فى نهاية الزمن . ان اكتشاف يسوع لن يوقف السعى نحوه طالما أننا لم نحظ بالرؤيا النهائية . لهذا يقول القديس أغسطينوس : « فلنبحث عنه دوماً ، ذاك الذى وجدناه من قبل ! »

— ٤ —

كيف نلمس يسوع

هل لابد من أن نرى يسوع ؟

نعم ، بل وأكثر من هذا ، لابد أن نلمسه أيضا .

« الذى رأيناه بعيوننا ، الذى لمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة ... » (ايو ١ ، ١) هكذا يقول يوحنا الرسول .

لقد قالت نازفة الدم فى نفسها أنها لو لمست ولو هدب ثوب المخلص فقط لشفيت (مت ٩ : ٢٠) وهكذا جاءت من ورائه فى خوف ، وإذ لمست هدب ثوبه شفيت من مرضها .

ليته لا يمضى يوم دون أن ألمس فيه هدب ثوب المسيح . ليته لا يمضى يوم دون أن آخذ فيه قوة من المخلص لتكون ضمانا لخلاصى .

يجب أن نلمس يسوع فى المحادثة السرية معه ، وفى التعامل مع أعضاء جسده الذى هو الكنيسة ، وفى سر العشاء الربانى .

ونحن لا ينبغى أن نفترض أننا قد لمسنا يسوع لأننا اقتربنا منه ، بل هناك لحظات ممتازة نحس فيها برعدة لا يعبر

عنها ، ويقين شديد يجعلنا نصرخ: «لقد لمست يسوع الآن»، أو بالأحرى : « لقد لمسنى يسوع الآن » .

هذه الاختبارات حين تكون حقيقية وأصيلة تلقى بنا إلى أعماق الانسحاق !

ربى .. إننى لا استحق أن أرفع عينى إليك ، فارحمنى لأنى خاطئ ! (لو ١٨ : ٣) .

كم هى عجيبة ومحيرة تلك الحقائق الخاصة بحياة المسيح ، إنها لاتكون بالضبط حسبما نتوقع ، بل هى إيجابية تذهب إلى أبعد مما نتوقع . فها إن يوسف الرامى يدفن يسوع (مت ٢٧: ٥٩) ولكن يسوع لا يمكن أن يحتويه قبر أو يحده ! وها النسوة آتيات ليحنطنه بحنوط (مر ١٦ : ١) فيفاجأن بالله قائم من القبر يلغى خطتهن ! وها امرأة تسكب الطيب على جسد الرب وهو حى قاصدة أن تعطيه مجداً (مت ٢٦ : ١٢). ولكنه يعتبر ذلك تكفيننا له !

الصليب يبدو محطماً للأمل، ولكن القيامة تحطم اليأس.

والأعمال الإلهية قد تفسد خططنا وتفكيراتنا، ولكنها تذهب إلى مستوى أبعد من الأمل واليأس معاً . هذا ما يحدث عند

كل تدخل من تدخلات الله فى حياتنا الشخصية ، فكل منها يجعل شيئا ما ينفجر بجوارنا ولكنه يجعل الهروب ممكنا . إن يسوع لا يتفق مع خططنا ، لكن حضوره وكلمته يتخطيان كل الحدود والقيود .

— ٥ —

تعلموا منى

« تعلموا منى » (مت ١١ : ٢٩) .

لا نستطيع أن نعرف يسوع ، دون أن نتعلم يسوع .

وينبغى أن نتعلمه يوماً فيوماً ، وساعة بعد ساعة ، قليلا قليلا . إنه لأمر يحتاج إلى الخضوع والمثابرة ، كما يحتاج إلى ألفة يومية معه إذ نكون نحن قريبين منه ، منصتين إليه .

تعلموا منى ...

يطلب المخلص هذه الصلة المباشرة الوثيقة مع كل نفس . قد يتمكن الآخرون من إعدادنا لرسالته ، ويعيدونها على أسماعنا بفائدة جزيلة ، ولكن لن يزيدوا عن كونهم مدرسين مبتدئين . هو وحده السيد الذى ينبع تعليمه من اللاهوت ،

وهنا نجد التعليم غير منفصل عن شخص المعلم .

إن تقبل رسالة يسوع هو اكتشاف لشخص السيد ، فيسوع يريد أن يكشف لنا ذاته . ترى ، ماذا يريدنا أن نتعلم عنه ؟ مجرد أمر بسيط ومختصر يناسب حتى العامة والجهال : « إنى وديع ومتواضع القلب » (مت ١١ : ٢٩) . هذا أول ما يريدنا أن نعرفه ، فهل هذا كثير ؟ إذا ما تفحصنا هذه الكلمات البسيطة فلسوف نكتشف فى ثناياها بيت لجم والجلجثة .

ولكى نعرف يسوع يلزمنا نوع من عدم المبالاة، مع نظرة موضوعية مقدسة ، إذ ينبغى أن تصير هذه المعرفة الهم الأعظم لحياتنا . لذا يلزم أن نمنع حياتنا — حتى على المستوى الروحى — من أن تكون هى موضوع إنشغالنا الأول . إن ما سوف نتعلمه من يسوع عن نفسه ينبغى أن يكون بالنسبة إلينا أثمن أمر فى الوجود . يجب أن نرى فيه أكثر مما نتعلمه عن أنفسنا، لأن وجه المخلص يجبرنا فى الحال على أن نعرف مقدار صغرنا بالنسبة إليه ، ويعرفنا وضعنا على حقيقته . من هنا تنبعث مباشرة الامكانية — بل القوة اللازمة — لكى نتغير إلى صورته.

ولا ينبغى أن يشغلنا وجه يسوع بسبب تاثيراته فينا ، بل يجب أن ننشغل ونسبى بجماله الذاتى .

« أنا معكم زماناً هـذه مدته ، ولم تعرفنى يا فيلبس » (يو ١٤ : ٩) .

يا بني... لقد كنت معك زماناً طويلاً أنت أيضاً ، ولكنك لا تعرفني من نواح كثيرة ، وما عرفته عني لا يقاس بالنسبة لما يمكن أن تعرفه ، فهل أنت مستعد أن تكرس بقية عمرك لمعرفتى ؟

هذه هى معرفة المسيح « حياة ابدية ، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى ، ويسوع المسيح الذى أرسلته » (يو ١٧ : ٣) . إذن لا يكفى أن نقول : سنعرف يسوع فى الحياة الأبدية ، بل أن معرفة يسوع هى حياة أبدية . الحياة الابدية تقوم فى هذا ، ولذلك فهى تبدأ هنا على الأرض . معرفة المسيح هى الصلة بين الزمان والابدية ، والإله الحقيقى ويسوع المسيح الذى أرسله ليسا موضوعين منفصلين للمعرفة لأننا فى يسوع وحده نعرف الآب ونعرف الروح « الذى رآنى فقد رأى الأب » (يو ١٤ : ٩) .

لكى نعرف يسوع

إذا ما كرس إنسان حياته لعمل ما ، كأن يصل إلى ما وصل اليه شخص آخر ، أو أن يطور عملا من الأعمال ، أو أن يجاهد فى إنجاز أمر يخصه ، نراه يحدد نفسه ويبسطها ويوحدها ، فيحيا داخل هذا العمل ويلبسه لبساً .

وهذا ما ينطبق تماماً على من يطلب معرفة يسوع ، إذ يجب أن نغلق على أنفسنا فى يسوع ، وندمج فيه كل الناس الآخرين ، وكل شىء آخر . وهكذا تثمر معرفتنا نعمة تفيض على العالم بطريقة غير منظورة .

يامخلصى ... لدى الكثير لأبحثه بخصوصك . فلقد قرأت عنك الكثير ، وسمعت عنك الكثير ، بل وتكلمت عنك كثيراً ، ولكنى أحب الآن أن التصق بك وأغلق كتبى . ليت الحواجز التى بيننا ترتفع إلى الأبد ... ليتنى آتى إليك ... ليتنى أمتص وأبتلع فى محضرك ... ليت قلبك فقط هو الذى يخاطب قلبى !

ربى يسوع ...

كيف يصغى قلبى إلى قلبك بينما ترتفع أصوات المعلمين والكتبة يتناقشون بحدة عن إسمك ؟ وهل يمكننى أن أسمع صوتك الهادىء فى الخفاء دون أن تعصف به هذه الضجة الصاخبة ؟

إننى أردد كلمات المجدلية فى البستان : « أخذوا سيدى ، ولست أعلم أين وضعوه ؟ قل لى أين وضعته وأنا آخذه » (يو ٢٠ : ١٣ — ١٥) . هذا ما أريد أن أفعله يارب ، أن آخذك بعيداً عن صخب العلوم ومجادلات الحكماء ،وأيضاً عن غيرة التلاميذ المرة « من منا يكون الأعظم » (لو ٢٢ : ٢٤) . دعنى أحبك وأعبدك ، دعنى أراك وأحادثك ياربى .

هذا الحضور ، وهـذا الالتصاق الذى أنشده ، سوف أحصل عليه منك شخصياً أيها الرب . فأنت تستطيع أن تظهر لى بصورة جديدة لاعلاقة لها بالماضى ، كما أنك تستطيع أن تجعل حياتك على الأرض حاضرة وحقيقية وجديدة بالنسبة إلى . أنت تستطيع أن تكتب فى قلبى « سيرة حياة يسوع » القديمة والجديدة فى آن واحد .

ربى ... اكشف لى ذاتك كيسوع الأناجيل ، ويسوع معاصرى ورفيقى .

— ٧ —

يسوع المسيح اليوم

هيا تفكر فى يسوع كمعاصر لنا .

إن كل كلمة فى الانجيل هى — بالنسبة لى — حدث حاضر اليوم ، بل وممتد عبر الأبدية أيضاً . وهى تختلف تماماً عن الحدث الماضى الذى أستعيده إلى ذاكرتى ، ففى هذه اللحظة بالذات تكون كلمة الانجيل حقيقة شعورية حاضرة تخص حياتى .

إن أعمال المخلص وأقواله لترتبط بالتاريخ بهذا المعنى ، فهى قد حدثت فى الزمن ولها وجود تاريخى، ولكنها تتخطى حدود الزمان والتاريخ ، تماماً كما يتخطى الإله المتأنس كل حدود البشرية . ومع أنها حدثت فى الماضى إلا أنها متحررة من الماضى ، ومعاصرة لكل إنسان ، وهى تفتح أمامنا المستقبل أيضاً . ولقد سأل الرب تلميذى يوحنا حين تبعاه : « ماذا

تطلبان ؟ » فقالا له : « يامعلم ، اين تمكث ؟ » (يو ١ : ٣٨).
إنهما لا يطلبان شيئاً بل شخصاً . وهما لا يسألان فقط : إلى
أين يذهب يسوع ؟ بل يسألان : أين يمكث ؟ علينا إذن أن
نرغب فى طريقة حياة محددة وثابتة ،ملتصقة بالمسيح،وليس
فقط مجرد لقاء عابر معه . وهكذا من الصفحة الأولى نرى
أن تاريخ الرسل يضع يسوع مركزاً لكل شيء .

« ليس ما أبحث عنه هو الكمال الاخلاقى ، ولا هو مفهوم
مترابط جذاب للعالم ، ولا حتى عن هذه الموهبة أو تلك ، بل
ولا حتى عن النعم الإلهية الخاصة ، بل أنا أطلب شخص
المسيح .

لقد سأل الرب الجنود القادمين لإلقاء القبض عليه قائلا :
« من تطلبون ؟ » (يو ١٨ : ٤) فأعاد إلى الاذهان سؤاله
لتلميذى يوحنا : « ماذا تطلبان ؟ » (يو ١ : ٣٨) . لذلك
فتعبير « الجميع يطلبونك » (مر ١ : ٣٧) الذى قاله التلاميذ
للرب يوماً ما زال يتردد اليوم أيضاً ، البعض يطلبون يسوع
ليتبعوه ، والبعض الآخر يطلبونه ليقبضوا عليه . وليتهما كانتا
مجموعتين منفصلتين ، ولكن — للأسف — فى حالتنا نحن

الخطاة نرى التذبذب بين المجموعتين .

الرب لم يقل : « هأنذا أريكم الطريق » بل قال : « إنا هو الطريق » . ولم يقل : « هأنذا علمكم الحق » بل قال : « أنا هو الحق » . ولم يقل : « هأنذا أعطيكم الحياة » بل قال أيضا : «أنا هو الحياة» (يو ١٤ : ٦) . لهذا يتحدث الرسول بولس عن المسيح بتعبير مشابه فيقول : «لى الحياة هى المسيح» (فى ١ : ٢١) . فهو قد صار لنا «من الله حكمة وبرأ وقداسة وفداء» (١كو ١ : ٣٠) . ونحن نستطيع أن نتكلم عنه بطريقة جوهرية لأنه جوهر كل شىء خير وكل عطية صالحة.

لقد تم فى المسيح استبدال الناموس بشخص حى . لذلك فلن أمتنع عن القتل والزنا لئلا أكسر وصية مكتوبة بل بسبب هذا الشخص الحبيب — يسوع — الذى تكلم وعاش ومات بطريقة تشكل أنموذجاً أبدياً .

اذن ، فيسوع يلغى — وفى نفس الوقت — يثبت الناموس ويكمله (مت ٥ : ١٧) . تماما كما يندفع النهر ليصب فى البحر . فرغم أن كل قطرات النهر تحتفظ بوجودها فى أعماق البحر إلا أن النهر لا يعود له وجود فيما بعد !

لهذا فالذين أدركوا هذا الاستبدال قد وجدوا طريقة خاصة لمناقشة المشكلات فى المسيح . فالرسول بولس حين أراد أن يحذر المسيحيين من الزنا لم يستغرق فى اعتبـــارات اخلاقية عن الطهارة بل سألهم إن كانت أعضاء المسيح ستجعل أنفسها أعضاء زانية (اكو ٦ : ١٥) . ولم يتحدث عن خلود النفس بل قال لهم : « ان لم يكن المسيح قد قام .. فباطل إيمانكم » (اكو ١٥ : ١٤) .

— ٨ —

الاتحاد بشخص المسيح

فى المسيح يسوع .. الطريق ونهايته شيء واحد .

وحين ندخل إلى الطريق — الذى هو المسيح — نكون قد وصلنا مقدماً إلى غايته . وسوف نجد حلا لكل مشكلاتنا . سواء كانت من المسائل العالية فى الروحيات أو من الاحداث اليومية البسيطة ، بالاتحاد بالمسيح والالتصـاق به . إلا أن هـذا لن يغنينا من التفكير أو استعمال الوسائل المناسبة ، ولكن تفكيرنا سيقوم بدوره فى نور المسيح .

لذلك فحينما تواجهنا أمور هامة مثل : قرار ينبغي أن نتخذه ، أو مقابلة عسيرة ، أو خطاب نكتبه ، أو علاقات شخصية ، أو أعمال رسمية ... علينا أن نسأل : يارب ، ماذا ينبغي أن أفعل ؟

يا بني ... ينبغي أن تتحد تمسك بى أولا ، وأن تثق أنك ستجد فى حلا لمشكلتك ، لأنك إن رأيتني حقيقة فسوف ترى الحل واضحاً من خلالى كل الوضوح . استخدم قواك الفكرية ، لكن فى نورى وبالاعتماد على قلبى .

لقد كانت مرثا تؤمن أن أخاها سيقوم فى اليوم الأخير . لكن يسوع يقول لها : « أنا هو القيامة » (يو ١١ : ٢٥) . هناك تعليمان فى هذه العبارة: ليست القيامة مجرد حقيقة أخروية تحدث فى المستقبل ، بل أنها ايضاً ـ وبطريقة محددة جداً ـ حقيقة واقعة معطاة منذ الآن ، وموجودة معنا حالياً . المخلص نفسه هو سبب القيامة من الاموات وقوتها ، ونحن إذ نتحد به ـ من الآن فصاعداً ـ فسوف نتحد باحبائنا الذين رحلوا من هـذا العـالم ، لا بالخيال ولا بالتذكر ولكن بالحقيقة . وهذا الاتحاد بشخص المسيح يصير ممكنا حين نضع أمامنا

ونحمل فى أعماقنا صورة حقيقية ليسوع . ونحن لا نعنى بالصورة تخيلا أو تصوراً فكرياً (مع أن هذا مفيدفىالبداية) ولكننا نعنى رؤيا داخلية أكيدة، بلا حدود واضحةولا يمكن وصفها خارجياً .

لقد سار بطرس على الماء (مت ١٤ : ٢٩) ، وطالما كان يركز نظره على يسوع ويسير نحوه كان فى طمأنينة فوق الأمواج ، ولكنه ابتدأ يغرق بمجرد أن نظر حوله ولاحظ الريح الشديدة فخاف ، واضطر يسوع أن يمد يده لينقذه . لو أن بطرس لم ينتبه إلى الأمواج والرياح مركزاً نظره على يسوع وحده لما صار فى خطر ولما اهتز ايمانه .

هنا أجد سر سقطاتى ، فلو أننى ركزت نظرى على يسوع وحده ، ولم أقم وزناً للأخطار والمغريات مبتدئاً فى حولها ومساومة معها ، لاستطعت أن أسير على الماء. إن كل أخطائى تنشأ بعد أن تبدأ صورة المخلص فى الغموض أو الاختفاء من أمام بصرى .

ولكن ، كيف أضع أمامى صورة قوية ثابته بحيث تطغى على خوف المخاطر واغراءات الخطيئة ؟ إن هذه الصورة لن

تتكون فى دقيقة واحدة أو يوم واحد ، بل هى نتاج الشهور والسنين ، بل ربما الحياة بجملتها . فالصورة السريعة السطحية ليسوع تكون وكأنها قد رسمت على الماء ، وتختفى مع أول نسمة ريح ، وأول تجربة . لذلك فعلى أن أكّون هـذه الصورة ببطء وعمق ، إذ أعيش فى خضوع دائم يسمح ليسوع بأن يحفر صورة وجهه فى قلبى .

إن جمال وجه المخلص يحوى بجانب الجاذبية قوة العمل والتغيير ، فلو كانت نظرتنا الداخلية ثابتة على الدوام فان جمال المخلص يلمسنا بعمق بقدر ما نداوم على النظر إليه .

ربى ... أرنى وجهك (مت ١٧ : ٢) لتذوب مشاكلى ذوبان الجليد أمام وهج الشمس ... دعنى أتأملك ليمتصنى نورك فأرتفع من مجد إلى مجد متغيراً إلى صورتك .

— ٩ —

يسوع وحده

بينما كان التلاميذ نازلين من جبل التجلى لم يردا أحداً إلا « يسوع وحده » (مت ١٧ : ٨) . والمعنى الواضح لهذه

الكلام أنهم لم يعودوا يروا موسى ولا إيليا ولا المجد الإلهى، بل عادوا ثانية يرون يسوع فى منظره العادى . ولكن هناك معنى آخر لهذا الكلام يمكن أن يضاف إلى المعنى السابق : ان النفس التى يبهرها نور المخلص ترى هـذا النور على كل الكائنات ، فمن خلال الناس والاشياء ترى «يسوع وحده» .

ومن الواضح - أثناء دعوة الرب لتلاميذه - أنه يدعو النفس بصفة فردية ، إذ أن هناك عنصر شخصى يدخل فى هذه الدعوة . فيسوع يرى سمعان (يو ١ : ٤٢) ويخبره على الفور بأنه سيكون صفا أى صخرة ، ثم يرى نثنائيل (يو ١ : ٤٧) فيقول فى الحال : « هذا اسرائيلى لا غش فيه » (فيعقوب بعد أن كان مخاتلا أصبح اسرائيل الصادق) . وهناك فرق بين الحالتين : ففى حاله نثنائيل يرحب المعلم بحالة نفسه الراهنة، أما فى حالة سمعان - وهذا ما يحدث كثيراً - فالمعلم يرحب بما سيصير إليه نموه الروحى فيما بعد . إنه يقبل حالته المستقبلة لا الراهنة ، ويرسم أمامه - منذ هذه اللحظة - شكل خدمته المستقبلة .

قال يسوع لنثنائيل : « قبل أن دعاك فيلبس ، وأنت

تحت التينة رأيتك » (يو ١ : ٤٨) . ونحن لا نعرف ماذا يقصد يسوع من هذا الكلام ، هل كانت هذه لحظات تجربة وصراع داخلى ، أم كانت حالة خطية وتوبة ؟ ولكن المؤكد أن ظل شجرة التين يمثل لحظة حاسمة فى حياة نثنائيل ، ولقد كان يسوع حاضراً بطريقة غير منظورة فى هذه اللحظة تماماً كما يرافق الآن كل واحد منا وهو يصارع تحت تينته الخاصة .

وبعد أربعة قرون ، وتحت تينة مشابهة ، سيسمع اغسطينوس صوتا يقول له : « خذ واقرأ » ، وتصير هذه الدعوة أيضاً حاسمة فى تجديده . وكما أن هناك أشجار تين عظيمة - وان كانت تخدع بأوراقها - سوف يلعنها يسوع (مت ٢١ : ١٩) ، فهناك أشجار تين مثمرة يباركها يسوع ، ومن بين أثمارها نثنائيل واغسطينوس .

إن دعوة السيد - سواء تلك التى خصت نثنائيل ، أو التى تخص كلا منا - تحمل فى ثناياها جذوراً سرية عميقة تمس خبايا حياتنا .. « وأنت تحت التينة » (يو ١ : ٤٨) .

وحين يصيح بطرس قائلا : « اخرج يارب... لأنى رجل خاطىء » (لو ٤ : ٨) ، فهو يعبر عن أمر أساسى من علاقتنا

يسوع ، تماماً كصيحته الأخرى : « مرنى أن آتى إليك على الماء » (مت ١٤ : ٢٨) إذ ينبغى أن نقدم صيحة الاتضاع مع صيحة الثقة فى آن واحد . ولكننا ـ معشر الخطاة المبررين والمدانين المخلصين ـ نقدم إحدى الصيحتين بالتبادل ، أحيانا هذه وأحيانا تلك .

« تعال وانظر » (يو ١ : ٣٩) .

كانت هذه عبارة يسوع لتلميذى يوحنا حين سألاه أين يمكث ؟

« تعال وانظر » (يو ١ : ٤٦) .

هكذا قال فيلبس لنثنائيل وهو يريد أن يحضره إلى المعلم . وهاتان اللحظتان كانتا ضروريتين من أجل ادراك يسوع. فقبل كل شىء ينبغى أن نبذل مجهوداً شخصياً لنرى يسوع. والرؤيا تكون اكليلا لهذا المجهود والحق أن مجهودنا الأول هذا هو فى ذاته نعمة إلهية وهبة منبعثة من المخلص .

وهناك أيضا لحظات من الضيق الشديد نصرخ فيها إلى يسوع مثل اليهود عند قبر لعازر ونقول : « يارب تعال وانظر » (يو ١١ : ٣٤) . وايماننا بالمخلص هو الجواب المطلوب

لدعوته الأولى التى استخدم فيها نفس هذه الكلمات .

— ١٠ —

يسوع يتعجب

يحدثنا الانجيل عن مناسبتين فقط تعجب فيها يسوع، وكان الأمر فى كلتيها خاصاً بالإيمان .

المناسبة الأولى كانت فى الناصرة ، حين رجع يسوع إليها، وأخذ يعلم فى المجمع فلم يقبلوا شخصه ولا رسالته ، فكانت النتيجة أنه لم يقدر أن يجرى أية معجزة هناك « وتعجب من عدم إيمانهم » (مر ٦ : ٦) .

والمناسبة الثانية حدثت فى كفر ناحوم، حين أقبل إليه قائد المائة الرومانى يتوسل لأجل شفاء غلامه المريض . فقال له يسوع : « أنا آتى وأشفيه » (مت ٨ : ٧) فاعترض قائد المائة قائلا : « لست مستحقا أن تدخل تحت سقفى ، ولكن قل كلمة فقط » (مت ٨ : ٨) « فلما سمع يسوع تعجب » (مت ٨ : ١٠) . وشفى الغلام من على بعد ، وأعلن أنه لم يجد ولا فى اسرائيل إيماناً بمقدار هذا .

فلنقارن بين هاتين الحادثتين ، فثمة أمر مدهش يكمن وراءهما ... إن أهل الناصرة اسرائيليون ، ولديهم الناموس والانبياء ، وعندهم إيمان محدد وطقوس محددة. أما قائدالمائة فهو غريب عن أصحاب العهد ـ أو على أكثر تقدير دخيل عليهم ـ ولكن يسوع تعجب من إيمانه تماماً كما تعجب من عدم إيمان الناصرة .

إن إيمان الناصرة المستقيم لم يكن إيماناً حياً مخلصاً ، فلو كان فيهم هذا الايمان الحى لفتحوا قلوبهم ليسوع . إنهم يتمسكون بتدين شكلى دقيق ولكن بلا ثمر ، لهذا بقيت قلوبهم مغلقة . ومع أننا لانستطيع أن نعرف بالضبط ماذا كان إيمان قائد المائة بالمسيح ، فهو لا يعرف عن يسوع ما نعرفه نحن ، ولكنه فتح قلبه ليسوع . لقد رأى فيه مخلصاً وربا ، وبنى إيمانه على الثقة والطاعة وليس على العاطفة . لقد كان إيمانه نبضة كيانه كله ، إذ لم يكن لدية أدنى شك فى أن يسوع قادر أن يشفى وسيشفى فعلا خادمه المريض ، وهكذا علق حياته ـ بطريقة ما ـ على كلمة يسوع ... « قل كلمة فقط » (مت ٨ : ٨) ... إنه توقع متضع وحار !

نستطيع ، إذن ، أن ندرك ما يدعوه يسوع عدم إيمان ، وما يدعوه « إيمانا عظيما » . وهو يرى ما فى دواخلنا ، فهل سيجد إيمان قائد المائة أم عدم إيمان الناصرة؟ ما الذى سيتعجب منه يسوع : إيماننا أو عدمه ؟

« أؤمن ، فاعن عدم إيمانى » (مر ٩ : ٢٣) .

أليست هذه الصيحة المتناقضة ، التى رفعها والد الطفل الذى به روح نجس إلى يسوع ، تناسب حالتنا نحن ؟

ينبغى أن نؤمن بيسوع المسيح ، ولكن ... لماذا ؟

على كل منا أن يقدم أسباب إيمانه ، فهناك طرق كثيرة تقود إلى يسوع عددها بعدد البشر أنفسهم .

أما أنا ... أيها الرب يسوع ... فلأكن بين الذين يؤمنون بك لأجل ذاتك ، أنا أؤمن بك لأنه ـ بمعونة نعمتك ـ لن تستطيع أية صورة أخرى أن تطغى على صورتك فى داخلى ، لتحل محلها أو تلاشيها ، ولأننى لم أجد كلمة مثل كلمتك قادرة على أن تدخل إلى عمق أعماق قلبى. أنا أؤمن بك ـ وهنا استعيد كلمات الخادم الذى جاء ليقبض عليك ـ لأنه « لم يتكلم قط انسان مثل هذا الانسان » (يو ٧ : ٤٦).

أنا أومن بك لأنه خارجا عنك لا يوجد سوى العدم .

— ١١ —

أنا هو نور العالم

الجو الذى يشيعه يسوع نور وضياء . لذلك قال « أنا هو نور العالم » (يو ٨ : ١٢) . وليس ثمة أثر للسحب أو العواصف مع يسوع ، ولا للأعاصير القوية المؤلمة، ولا للظلمة تقطعها لمحات من النور ، فليس هناك أثر للظلال لأن كل ما فى يسوع نقى كالبلور ، وهذه النقاوة تسمح لنا بوضوح محدد.

كذلك ليس هناك أسى مع يسوع لأن كل المشكلات تجد لها حلا ، لهذا فتلميذ المسيح لايواجه صعوبة فى اكتشاف المطلوب بل فى نوال القوة اللازمة. وما ندعوه « مأساة الوجود الإنسانى » يختفى تماما فى مواجهة نور المسيح النقى ، لأننا حين نرى النور سنسير فيه .

لقد لمعت ثياب المخلص أثناء حادثة التجلى وصارت « بيضاء جداً كالثلج لا يقدر قصار على الأرض أن يبيض مثل ذلك » (مر ٩ : ٢)، وهكذا نجد أن رؤية المسيح - بل حتى الصورة

التى نكونها له فى أنفسنا ـ لا تنفصل عن انطباع ذلك النور الأبيض والنقاوة الباهرة . وكأنما ليسوع اتساع بحر عميق الزرقة عند دخول الليل ، وحين تسطع شمس الظهيرة تعكس عليه بياضا يعمى الأبصار ، وأما عند الأفق فيلتقى خط البحر بخط السماء . وهكذا ـ ياربى ـ فبقدر ما تستطيع نظرتى أن تتبعك ، أراك تختفى فى مجد الآب .

والذى حدث فى التجلى يحدث معنا أيضا ، فالمعلم الذى عاش مع تلاميذه فألفوا منظره ظهر أمامهم فجأة ملتحفا بالنور ومشعا ، وهكذا نوهب أحيانا أن نختبر يسوع فى انطباعات جديدة وغامرة . ولا أقصد هنا أن نرى يسوع فى الجسد ـ مع أن كثيرين قد نالوا هذا الامتياز عبر الأجيال ـ ولكنى أتحدث عن لحظات فيها يطغى حضور المسيح علينا ويتمكن منا ، فنحس بنوره دون أن نراه ، تماما كما تنساب أشعة شمس الصباح خلال أجفان النائم . وهنا نرى المعلم الوديع المتواضع حسب المظهر العادى يجعلنا نرتعد حينما نحتك بقوته ... هذه لحظات تجلّ !!

وقديما ، لم يعرف اليهود النور الإلهى إلا فى صورة عمود

النار الذى قادهم فى البرية (خر ١٣ : ٢١) ، ولقد كان نوراً محدوداً ومؤقتاً ، لشعب معين وخلال حقبة معينة... أما الآن فيسوع يعلن نفسه نوراً « للعالم » ، إنه النور الأبدى الشامل الذى « ينير كل إنسان آت إلى العالم » (يو ١ : ٩) .

مبارك أنت يارب ، لأن نورك ينعكس على كل القلوب ولأنه مهما بدا مشوها إلا أنه موجود فى كل جنس وفى كل معتقد دينى .

— ١٢ —

مرافقة يسوع

« وأقام إثنى عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا » (مر ٣ : ١٤) . إن العلامة الأولى التى تميز الرسول أنه كان مع يسوع ، أما نزوله إلى حقل الخدمة فأمر ثانوى تابع لهذه الحقيقة . ولكن الأمر لا يقف عند حد القرب من يسوع ، فهو يريد أن يحصل عليهم ليكونوا معه . هناك فرق بين أن نكون فى حضرته وأن نكون بين يديه كملك له ، كمادة خام ينفخ فيها حياته ويشكلها كما يشاء .

ولقد سأل عبد رئيس الكهنة بطرس قائلا: «أما رأيتك أنـا معه فى البستان ؟ » (يو ١٨ : ٢٦) ، لذلك يلزمنى أن أسأل نفسى : هل كنت أنا مع يسوع ؟ وهل لا أزال معه فى البستان على جبل الزيتون ؟

وحين يقول يسوع « أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكـونون معى حيث أكون أنا » (يو ١٧ : ٢٤) ، فهو لايقصر حديثه عن السماء حيث سيرى تلاميذه مجده . بل يحوى معنى أشمل : إذ يجب أن يكون التلميذ حيثما يكون المعلم . لهذا ينبغى أن أفحص قلبى جيداً ... هل أنا مع يسوع فى الأماكن التى كان فيها أثناء حياته الأرضية ؟ وهل أنا حاليا معه فى الأماكن واللحظات التى هو حاضر فيها اليوم ؟

قال يسوع بعد العشاء الأخير «أنا آتى أيضا» (يو١٤: ٣) . ولكن هذا المجىء لا يعنى المستقبل فقط ، بل هو مجىء حاضر على الدوام . انى أسمع وقع أقدام المخلص على الطريق . قريبا من باب بيتى ، أسمعه يقول « هأنذا واقف على البـاب وأقرع » (رؤ ٣ : ٢٠) . إنه يأتى اليوم ، إنه قادم هذه الساعة ، إنه يأتى ... يأتى إلى الأبد !

لقد سار الرب مع تلميذى عمواس ، لكن « امسكت اعينها عن معرفته » (لو ٢٤ : ١٦) ، وهكذا يسوع معنا كل الطريق ، فى شوارع المدينة أو فى أزقة القرية ، يسوع معى هناك . هو موجود بالحقيقة بمقتضى طبيعته الإلهية التى تشمل الكون كله . ومع أن جسده الممجد عن يمين الآب لكن ناسوته المتحد باللاهوت يوصل لنا - بطريقةما - فاعلية حضوره فى السماء فيصير قريباً منا . وهكذا أراه بعين الإيمان فأختبر حضوره فى كل لحظة .

لست وحدى أبداً ... لا فى حجرتى ولا خارج بيتى ... فيسوع دائما معى ، استطيع أن أنصت إليه دواما ، وأحادثه باستمرار . « ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا إذ كان يكلمنا فى الطريق ؟ » (لو ٢٤ : ٣٢) .

- ١٣ -
اتبعنى

« هلم ورائى » (مت ٤ : ١٩) ، هذه هى الصورة العادية للدعوة التى كان يقدمها يسوع لتلاميذه . وينبغى أن تتبع يسوع فلا نكون إلا حيث يكون هو ، ولا نذهب إلى

حيث لا يذهب. ثم نسير وراءه اينما ذهب، ولا نتبعه من بعيد بل نلتصق به تماما، كذلك لا نتخطاه ونسير أسرع منه بل في انسحاق نسير وراءه .

وعلينا ألا ننشغل بأمر آخر غير السير وراءه . . « ماذا لك ، اتبعني أنت » (يو ٢١ : ٢٢) . إن ما يحدث ليوحنا لا يخص بطرس ، وما يخصه فقط هو أن يتبع يسوع .

يابني ... لا تقلق نفسك بالتفكير في أمور كثيرة وأناس كثيرين ، أو بالتفكير في حياتك وما أنجزت من أمور ، أسألك أن تنفذ أمراً واحداً وبسيطاً : اتبعني .

يبدو أن تلميذى يوحنا تبعا الرب من بعيد ، ويبدو أنه شاء ألا يلحظ ذلك إلا حين التفت وراءه وسألها (يو ١:٣٨). وهكذا يلزم بين الحين والآخر أن أسير وراء يسوع دون أن يتحدث إلي ، ودون أن يدعني أرى وجهه، ولكن يكفيني أن أعرف أنه هناك قريب مني جداً ، وحينما يشاء فسوف يلتفت نحوى .

وكثيراً ما يحدث عندما نسأل يسوع ألا يجيبنا بل يبادلنا السؤال ... هذا ما كان يفعله مع معلمى اسرائيل . ونحن

تخاف من اسئلة المخلص خوفا غريزيا ، ولكن حينما نرحب بالأسئلة ونحبها فاننا حالا نسمع جوابه .

والمسيح يتحدث بسلطان عجيب وفريد ، حتى أن اليهود بهتوا من تعليمه لأنه « كان يكلمهم بسلطان » (مت ٧ : ٢٩) ، ونحن نحس بهذا السلطان حين يتحدث يسوع فى أعماق نفوسنا فى الخفاء ، وكذلك حين نستمع إلى أحاديث الانجيل . وهنا نجد دافعا قويا للايمان بكلمته ، فمن يستطيع أن يتكلم هكذا ؟ أى انسان يجرؤ على أن يطلب هذا الخضوع المطلق .

هناك « الكلام » وهنا « الكلمة » . « الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم » (يو ١٧ : ٨) ... هذا ما قاله يسوع للاب بعد العشاء الأخير، ولكنه فى مكان آخر يذكر « كلمة» الآب (يو ١٤ : ٢٤) . الكلام ليس رسالة متكاملة فى وحدة واحدة ، بل كلمات متناثرة تنطبق على مناسبات خاصة. ولكن بين هذا العدد الهائل من الكلمات التى ترن فى آذانى كقطع نقود صغيرة ، هناك كلمة واحدة مرسلة لى شخصيا : الكلمة التى يهمنى أن أميزها كنطق نطق خصيصا لأجلى ، وعلى أن

أتوصل إليها بأن أنتبه تماما إلى كل كلمة .

— ١٤ —

الحاجة الى واحد

لقد هرب يسوع من الذين أرادوا أن يجعلوه ملكا، ورفض أن يعطى رأيه بخصوص الصراع القائم بين اليهود وقيصر (مت ٢٢ : ١٨) . بل إنه رفض أن يقدم معونة لمن طلب إليه تقسيم الميراث بينه وبين أخيه ، لأن الذى جاء لينزع جذور الأمور العالمية التى تستعبدنا لا يشجعنا على البحث عنها ، لأن « الحاجة إلى واحد» لقد تركت مريم كل شيء لتستمع إلى كلامه فاختارت « النصيب الصالح » (لو ١٠ : ٤٢) . بهذه الطريقة تتغير المسائل البشرية فى المسيح ، فهذا الكلام ينطبق على كل المسائل الأرضية طالما كنا نبحث عن كلمة المخلص فيها .

ونحن لانسمع تأنيبا لمرثا لأنها تهتم بالواجبات المنزلية، بل إن يسوع يوبخها لأنها « مهتمة ومضطربة » لأجـــل

« أمور كثيرة » (لو ١٠ : ٤١) ، وبهذا لم تعط نفسها فرصة سماع الكلمة ، ولكن من الممكن - في وسط المشاغل اليومية الضرورية وأثناء تأدية الخدمات المختلفة - أن نجلس كما عند قدمي المسيح ونصغي إليه . فمهما كان انشغالنا في العمل ، فان هذا لا يمنع امكانية التطلع المباشر نحو مخلصنا يسوع. ولو أن مرثا فعلت هذا لاختارت النصيب الصالح بدرجة لا تقل عن مريم ودون أن تتوقف عن الخدمة .

وبعد أن آمن أهل السامرة قالوا للسامرية : « إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن لأننا نحن قد سمعناه» (يو ٤:٤٢)، وهكذا تأتي لحظة تصير فيها الكلمة التي قالها لنا يسوع والتي جعلتنا نتجه إليه ذات سلطان حتى انها تجعل إيماننا نابعا من خبرة مباشرة واتصال شخصي ، فنشتاق فيما بعد لا لأن نسمع عن يسوع بل لأن نسمعه شخصيا .

لقد قال يسوع أن الانسان «يحيا بكل كلمة تخرج من فم الله » (مت ٤ : ٤) ، وهنالك فارق كبير بين أن أتذوق من حين لآخر كلمة الله ، وبين أن أحيا بهـــا جاعلا إياها خبزي اليومي ، الضروري والجوهري . وهو يقول هذا عن

كل كلمة إلهية ، لأنه مهما بدت هذه الكلمة غريبة - بالنسبة لاحتياجاتنا الحاضرة - إلا أنها تحمل إلينا بالضرورة قوة محيية بشرط أن نعرف كيف نستخرجها .

— ١٥ —

الانصات لصوت يسوع

يابني ... لدى الكثير لأقوله لك ... كم أحب أن أتحدث معك وأظهر لك ذاتى .. ليتك تلتفت إلى وتصمت ... ليتك تنصت إلى . ولكنك لا تعطينى إلا فرصا قليلة لأفتح لك قلبي فيها . هل ترغب فى محادثتى ؟ ولو لبضع دقائق كل يوم ؟

ولسوف نتعود تمييز صوت يسوع بسرعة بقدر ما نصغى إليه ، وحينئذ سندرك بسهولة نغمته وأسلوبه الخاص ، فهو أسلوب البساطة والوضوح الهادىء ، لأن الكلمة الأصيلة التى يقولها المخلص تختلف فى وقعها عن أصداء عقلنا الباطن وعن الأفكار التى يقحمها علينا العدو ، إذ نحس فيها براحة كاملة وثابتة مع حسم تام لكل المجادلات والشكوك .

« خرافى تسمع صوتى » (يو ١٠ : ٢٧) ... وبالاصغاء إلى صوت يسوع والتعود عليه ، نجد فى شخص المعلم راعيا لنا ونصير رعية له فعلاقة الراعى بالقطيع تكشف عن مرحلة أخرى بعد علاقة المعلم بالتلميذ ، فالراعى يطعم خرافه ويأويها ، ويحملها على منكبيه . وهذه العلاقة تتميز بالعطف والاشفاق .

« أنا هو الراعى الصالح » (يو ١٠ : ١٤) ... وفى الأصل اليونانى : « أنا هو الراعى الجميل » ، لأن الصلاح والجمال - فى اليونانية - لا ينفصلان . وليس صلاح راعينا داخليا فحسب ، بل ينعكس على الخارج أيضا ، إنه يشع ويجذب ! وهنا يشترك مع الجمال . لذلك نجد الراعى - فى الفن المسيحى القديم - شابا تسطع عليه نعمة الصبوة وجمالها ، مما يجعلنا نرى فى هذه الصور شاعرية الربيع لأن شباب المخلص جديد على الدوام .

ويدعو الراعى خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها (يو ١٠ : ٧) ، وهكذا فقبل تحقيق العمل الرعوى ، وقبل قيادة القطيع نرى يسوع يتقدم ليتعرف على كل فرد فى قطيعه شخصيا . فالعلاقة الشخصيه لها الأهمية الكبرى والأولية على الخدمة .

« أنا هو باب الخراف ... » (يو ١٠ : ٧) ، ولم يقل يسوع أنا هو باب الحظيرة ، بل هو يركز هنا على علاقته الشخصية بكل الخراف .

« إن دخل أحد بى ... » (يو ١٠ : ٣) ... يريد بهذا أن يؤكد ضرورة اجتياز هذا الباب ، أى أن نعبر - بطريقة ما - خلال يسوع ، فهو فى وقت واحد الباب الكبير و « الباب الضيق » (مت ٧ : ١٤) ، ولكى نجتازه يجب أن نتناسب مع أبعاده . فنزيد ونتسع ، وكذلك ننسحق ونحدد أنفسنا ، حسب قياس المسيح .

من المؤكد أنه ينبغى أن ننسحق ونحدد أنفسنا ، ولكن ... لماذا نزيد ونتسع ؟ لأن هذا الباب ضخم وعال بحيث أن من لا يزيد ويرفع انظاره إلى فوق ويصعد إلى أعلى سوف لا يستطيع ان يجده .

ولكن ... ماذاسيجد ذلك الانسان الذى دخل الباب وعبر خلال المسيح ؟ أولا : سيجد الأمان « يخلص ... » ، ثم الحرية ... أى الاستعمال الحر للعالم الذى خلقه الله . « يدخل ويخرج ... » ، ثم الغذاء ... « يجد مرعى ... » (يو ١٠ : ٩) .

ثم يقول الرب - بعد أن أعلن أنه الراعى الصالح - ان «الراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (يو ١٠ : ١١) ، وهو هنا لا يضيف ميزة جديدة لفكرة الراعى الصالح ، بل يوضح معنى سبق أن تضمنه الكلام . فهو لا يعنى « أنا هو الراعى الصالح ، وأكثر من ذلك، سأبذل نفسى عن الخراف» بل قال : أنا هو الراعى الصالح ولذلك أبـذل نفسـى عن الخراف» ، فالرعاية والذبيحة هما فى الحقيقة أمر واحد ، ولا ينفصلان أبداً ، لذلك فتقديمه ذاته ذبيحة عنا أمر متضمن فى تعبير « الراعى الصـالح » ، فالتضحية حتى إلى الموت جـزء لا يتجزأ من جمال الراعى وصلاحه .

وهكذا نرى فى صورة الراعى أكثر من مجرد مقطوعة شعرية جميلة ، فآلام المسيح منطبعة عليها كالعلامة المائية التى تطبع فى الورق أثناء صنعه .

الراعى يبحث عن خرافه

كثيرون يرفضون تبعيـة المسيح كما فعل ذلك الشاب الذى « حزن لأنه كان غنياً جداً » (لو ١٨ : ٢٣) ... فماذا صار من أمر هذا الشاب ؟ ... نحن نميل إلى الظن أنه عاد إلى يسوع بعد أن أعطى كل أمواله ، ونسمح لأنفسنا أن تتعلق بهذا الرجاء لأنه «حزن» ، فلم يمض غاضباً أو متمرراً بل «حزينا» وهكذا كان فى طريق التوبة ، فالحزن يحمل بذوراً خصبة ولهذا فاذا كنت أرفض الدعوة فعلىّ ـ على الأقل ـ أن أحزن بسبب هذا الأمر ..

« بع كل مالك ... » (لو ١٨ : ٢٢) ، هنا نرى تصميماً من يسوع فى طلبه من ذلك الشـاب ، لأن قلب يسـوع لين ومشتعل كالذهب السائل ولكن إرادته صلبة كالماس ، ونحن نرى فيه حلاوة هضاب الجليل وحدّة جبال اليهودية الحارقة.

كان الراعى يبحث عن خرافة ، وقد قدم لنا أنموذجاً

من طرقه فى الاقتراب من الخراف فى قصة السامرية . كان مجتازاً من اليهودية إلى الجليل ، ومع أنه كان هناك طريق آخر عبر الضفه الأخرى للاردن ليتفادى السامرة إلا أن الانجيل يقول « كان لا بـد له أن يجتاز السامرة » (يو ٤ : ٤) نعم، لا بد أن يجتاز السامرة ليلتقى بالسامرية فى سوخار . هذه هى ضرورات النعمة، وهذا هو تفكير المسيح ... ترى هل حياتى منسوجة بهذا الفكر ؟

ولقد قصد يسوع أن يلتقى بالسامرية قرب الضيعة التى وهبها يعقوب ليوسف ابنه ، فلقد ارتبط السامريون بولاء خاص لهـذين البطريركين . إن يسـوع يحب أن يقابلنا فى أرضنا الخاصة، فى المكان الذى نشعر فيه أننا فى بيوتنا آمنين.

لقد أحب يسوع « مرثا وأختهـــا مريم ولعازر » (يو ١١ : ٥) ، ونلاحظ أن الانجيل لم يقل أنه أحب عائلة بيت عنيـا ككل ، بل أنه أحب كل فرد من أفرادها بمحبة خاصة مختلفة ، وهذا الاختــلاف ليس بالضرورة فى الدرجة ولكنه اختلاف فى النوع فقط ، بكل تأكيد.

ثم طلب يسوع من السامرية ماء ليشرب (يو ٤ : ٧) ، مع أنه الذى يستطيع أن يعطيها كل شيء ولكنه يضع نفسه منها فى موضع المحتاج إليها . ولما أظهر اتضاعه من بدء المحادثة أعطى السامرية فرصة لتمسكها عليه ليسهل عليه أن يجد فرصة عليها ، فالطلب الذى طلبه يسوع باتضاع فتح الباب للحديث .

وفى بيت الأبرص ، فى بيت عنيا ، « بيت الفقراء » تقبل يسوع على رأسه مثل «مسحة ملوكية» ذلك الطيب الغالى الثمن الذى أحضرته امرأة فى قارورة (مر ١٤ : ٣) ... إنه لتناقض عجيب ... فى نفسى البرصاء سأكسر عند قدميه قارورة طيب ، وأضع فيها ناردينا حقيقيا من حزنى وطاعتى .

لكن ، لنرجع إلى بئر يعقوب ... هل هناك إختلاف بين يسوع هناك ، ويسوع فى بيت عنيا ؟ إنه بذاته ... يقدم نفس المشاعر الحانية والسلطان البسيط . ولما تعب جلس على البئر ينتظر السامرية ... جلس ينتظرنى !

يا مخلصى ... لقد تعبت فى البحث عنى وجلست ، ولم

تكف عن بحثك رغم طـول الطريق ووعورته ، وها أنت جالس الآن فى ذلك المكان الذى تعلم أننى سآمر به ، فأنت تريدنى أن أتلامس مع تعبك فى نفس الوقت الذى أتلامس فيه مع حبك ... فذلك التعب يشرح الحب .

— ١٧ —

يسوع الخادم المتألم

بعبارة صغيرة شفى يسوع مفلوج بيت حسدا الذى كان ينتظر تحريك الماء (يوه ٥ : ٨) ... والذى كان يحدث هناك من تحريك للماء يمثل التعاطى المنتظم والرسمى - بنوع ما - للنعمة ، ولكن يسوع لا يكف عن أن يقترب من النـاس ليشفيهم شفاءً مباشراً ، أولئك الذين لا يستطيعون النزول فى البركة . على أن هذا ليس مدعاة لأن نتجاهل أو نحتقر بيت حسدا ، بل لنفهم أن يسوع غير متقيد بشىء ، فهو قادر على كل شىء دون أن يكون مشروطاً بشىء .

« ولكنى أنا بينكم كالذى يخدم » (لو ٢٢ : ٢٧) ...

إذن ، فلن ألتقي بيسوع طالما أنني أبحث في أماكن الكرامة، بل يجب أن أفتش عنه في الأماكن التي يختفي فيها ، هناك في المتكآت الأخيرة وبين أعضائه المتألمة والمنسحقة . كثيرون لا يبحثون عن يسوع هناك ، لذلك فهم لا يستطيعون أن يؤمنوا به ، أو هم يؤمنون به إيماناً إسمياً ... وهكذا نرى أن زكا كان ينبغي أن ينزل من على الجميزة ليلتقي بيسوع وسط الجماهير (لو ١٩ : ٦) .

ولما أراد يسوع أن يلتقي بالسامرية على بئر يعقوب اختار ساعة الظهيرة لأنه يعرف أنها تخرج لتستقي فيها يومياً ، فيسوع يحب أن يلتقي بنا أثناء احتياجاتنا وأعمالنا اليومية .

ونلاحظ أن الأعمى الذي شفاه يسوع رأى الناس أولا « كأشجار يمشون » (مر ٨ : ٢٤) ، ولكنه بعد اللمسة الثانية « رأى كل شيء واضحا » (مر ٨ : ٢٥) . لذلك فطالما أن يسوع لم يلمس أعيننا نرى الناس بطريقة مشوهة ومظلمة ، فأنانيتنا تقيم حجابا بيننا وبينهم ، أما حين يلمسنا يسوع نستطيع أن نلاحظ حقيقة كل كائن وما يتميز به عن

غيره. وهذه النظرة الجديدة تتحسن بلمسات المخلص المتكررة.

كما نلاحظ أن الانجيل الرابع يذكر بالتفصيل حادثة غسل المسيح لأرجل تلاميذه ليلة العشاء الأخير (يو١٣ : ٤). فترى يسوع يخلع ثيابه ويأخذ منشفة ويتزر بها ، ثم يصب ماء في مغسل ، ويبدأ في غسل أرجلهم ، ثم يمسحها بالمنشفة . هنا يسوع يخدم ، وبأكمل طريقة ممكنة ، ولا يحذف أى جزء مطلوب في العمل ، لذلك لم يذكر الانجيل الحادث وحسب، بل تناول أدق تفصيلاته .

ولقد أحبت مريم المجدلية يسوع أكثر من تلاميذه فيما يبدو ، فهو الذى أخرج منها سبعة شياطين (لو ٨ : ٢) . لذلك نرى أن المخلص يتملك على النفوس التى تحبه ، وهو يفعل هذا بكل قوته لأن تلك النفوس استطاعت يوما أن تفتح قلبها لتأثيرات معادية . إذن ، أيتها النفوس التى سيطر الشيطان عليها ... تشجعى !

ولو أنى قصدت أن أختار كلمة واحدة من كلمات المخلص لتحمل بشرى الأخبار السارة لغير المؤمنين لاخترت

بلا تردد هذه . « تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨) . ترى ، هل نسمى هذا مجرد تعاطف إنسانى ؟ كلا ... لأن أحداً لا يجرؤ أن يتكلم هكذا . هذه الآية تعلن كل شيء ، فهى دعوة إلى كل المتعبين فى هذا العالم ، وإلى كل الذين يثقل الشر كاهلهم . إنها إعلان عن شخص المسيح أنه العلاج الوحيد لكل آلام البشرية وأتعابها ، فهل يجرؤ إنسان - مجرد إنسان - أن يقول هذا ؟ هذى عطايا المحرر للمقبلين اليه : راحة وسلام وعزاء . لذلك ، فمع أن هذه الآية لا تشرح علانية كل الاعلانات الإلهية ، إلا أنها تحملها جميعاً كبذرة فى ثناياها .

يا مخلص ... إنى أرى الجموع المتألمة منطرحة على الأرض ، تمد ذراعيها نحوك فى توجع وأنين وسعى متعثر ... وأنت تجذبهم نحوك بينما هم لا يدرون ... أنهم فيك سيجدون الشافى الذى يعزى ويغفر .

يسوع يزرع

« خرج الزارع ليزرع » (مت ١٣ : ٣) ... هكذا يبدأ مثل الزارع . ولقد رأينا يسوع يزرع عبر القرون والأجيال ، وهأنذا أراه اليوم يتقدم ليبذر بذاره التى تارة تسقط بين الشوك ، ومرة تقع على الطريق ، وثالثة تسقط على الأرض الجيدة . يسوع يزرع باستمرار حتى أثناء الحروب المدمرة والمذابح المهولة ، ولن يكف عن الزرع حتى نهاية العالم .

وأنا ... إما أن أخزن أو أن أزرع ، أستطيع أن أخزن فى بؤس ، أو أن أزرع كيسوع . فياربى ... ان كل ما أجمع بدونك هو عدم بلا فائدة ، وكل ما أزرع بدونك يتبعثر ويبقى بلا ثمر ... علمنى اذن أن أزرع معك .

يا بنى ... تذكر أن الزارع قد خرج ليزرع ، ها أنا أعبر أمامك وأبذر بذارى ، فهل تريد حقـــاً أن ترافقنى

وتزرع معى ؟ إذن ، فابدأ بأن تترك منزلك وتعرض نفسك للجو الردىء والخطر الخارجى . ولكن ... لا يكفى أن تخرج من منزلك ، ينبغى أن تخرج من ذاتك أيضاً .

يابنى ... أنا الزارع والبذار معا ، وأنت لا تستطيع أن تزرع معى ما دمت لا تملك البذرة أولا . لذلك لا يمكنك أن ترافق الزارع ما لم تستقبله أولا كبذرة فى داخل قلبك. وينبغى أن تنمو هذه البذرة فى داخلك ، وينمو الزرع فيك، حتى يملأ كيانك كله ويفيض خارجا عنك ، حينئذ ستأتى وتزرع معى .

— ١٩ —

فرح يسوع

يسوع لا يعد بالسعادة فى ذاتها أو فى صورها المتنوعة ، لكنه ينادى ويعلن « التطويبات » (مت ٥ : ٣) ، وكلمة « طوبى » فى العبرية واليونانية تعنى : بركة سماوية وفرحاً فائقاً للطبيعة . هذا هو الفرح الذى ينقله إلينا يسوع : فرح

وعد به المساكين والودعاء والأنقياء والمطرودين ، فرح يناقض أفراح الانسان العادية ، وهو مؤسس على قيم غير القيم المألوفة . فالتطويبات موضوعة فى مستوى يعلو فوق الانسان . أما بالنسبة إلينا فالأمر مختلف تماما إذ يجب أن نبحث عنها و نكتشفها كشىء جديد تماما .

هذه التطويبات فى متناول أيدينا ، فهل هناك فرح أوضح وأقوى إشعاعاً من فرح أولئك الذين يمتلكون يسوع فى قلوبهم ؟

قال الرب : « يثبت فرحى فيكم ، ويكمل فرحكم » (يو ١٥ : ١١) . وبين الفرحين فرق هام ، ففرح المخلص - مثل الحياة الالهية - مطلق وموجود دائما وبحالة كاملة وغير قابل للزيادة ، أما فرح التلاميذ فهو سيزداد لينمو ويصير كاملا .

ترى هل نكون مراعين الدقة حين نقول ببساطة أن يسوع يتكلم؟ الأدق أن نقول: أنه حين يتكلم يعلن شخصه، فكلماته تتخطى حدود الكلام ، وكل منها تعلن شخصة الفائق

المحبوب ، فالمحب حين يستقبل كلمـات حبيبه فهو يستقبل أكثر من مجرد كلمات ... يستقبل المحبوب ذاته .

— ٢٠ —

يسوع والدموع

« بكى يسوع » (يو ١١ : ٣٥) . . . وهكذا لم يمنع الفرح الكامل الذى لطبيعته الإلهية أن تدمع عينـا إنسانيته ، ولقد أضاف البشير بعض اللمسات عند حديثـه عن دموع يسوع على قبر لعازر فقال : « انزعج بالروح ... واضطرب » (يو ١١ : ٣٣) ترى ، كيف نفهم مشاعر المسيح هذه ، وهو الذى كان يعلم أنه سيقيم لعازر فى النهاية ؟ ربما ينبغى أن نرى فى حزن المخلص أكثر من ألم على صديق رحل ، هو سيقيمه فى لحظات .

يسوع يبكى على مصير الانسان الشامل ، على الموت الذى يصرع طبيعتنا الانسانية التى خلقها الله على قدر عظيم من الجمال . يسوع يبكى على آلام البشرية التى نتجت عن الخطية .

وها هو الإله المتأنس يأخذ المأساة على عاتقه ، وأحزانه هذه هي مشاركة لأحزان البشرية .

قال يسوع لسمعان الفريسي ، بينما كانت المرأة الخاطئة تغسل قدميه بدموعها : «أترى هذه المرأة ...» (لو ٧ : ٤٤) . وهذا هو نفس السؤال الذي يقدمه لي يسوع الآن : أترى هذه المرأة ؟ هل قبلت قدمي مثلها ، وهل غسلتها بدموعك ؟

لقد بكى بطرس بكاء مراً (مت ٢٦ : ٧٥) لما نظر إليه يسوع وهو خارج من بيت قيافا ملتفتا إلى الرسول الذي أنكره .

ربي يسوع... أحب أن أبكي عند قدميك، ولكني لا أملك الدموع . مقلتاي جافتان ، ومثلها قلبي . لقد أصبح عسيراً أن أبكي فلقد مرت سنوات طوال ... أين هي دموع شبابي؟ لم تكن من أجلك يارب ، ولكن أعطني اليوم قدرة البكاء من أجلك بنفس دموع الشباب. اضرب الصخرة وفجر ينبوعا حياً من الدموع ، عمدني في دموع الانسحاق .

« ويل لكم أيها الضاحكون » (لو ٦ : ٢٥) ، نعم ، فلقد تحدث الانجيل مرات عديدة عن يسوع وهو يبكى ، ولكنه لم يذكر مطلقا أن يسوع كان يضحك . فالضحكات الصاخبة والثقيلة ، المثيرة والساخرة ، لا تتناسب أبداً مع صورة المخلص كما رسمها الانجيل . ويسوع لم يقل لأتباعه : « اضحكوا » ، بل قال لهم «افرحوا وتهللوا» (مت٥:١٢)، وقال لهم هذا فى مواجهة الاضطهاد ذاته ، ينبغى ان نبتهج ونتهلل ، ولكن هذه العاطفة التى تسبب لنا فرحا بهيجا ينقلها الينا يسوع وهى شيء آخر غير الضحك .

ولكن لا يمكن أن نظن أن يسوع لم يبتسم حين سمح للأولاد بأن يأتوا اليه ، لا بد أنه ابتسم فى محبــــة تأسر القلوب . وحين قال يسوع للمرأة الفينيقية : « ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » (مر ٧ : ٢٧) ، ألا نظنه كان يبتسم أثناء نطقه هذه الكلمات القاسية فى مظهرها ؟ لأنه بدون هذه الابتسامة ما كان يمكن للمرأة أن تستعمل تشبيه الكلاب التى تأكل من الفتات الساقط من مائدة أربابها ؟

ولعل دموع يسوع وابتسامته كانت قريبة جداً من

بعضهما ، بل لعلهما امتزجت أحيانا . فالشفاه أحيانا تبتسم بينما العينان غارقتين فى الدموع ، تماما كما نرى قوس قزح فى وقت المطـــر ، وكما تشرق الشمس الساطعة على القمح يعلوه الندى .

— ٢١ —

يسوع والصلاة

قال الرب يسوع لتلاميذه ، قبل أن يعلمهم كلمات الصلاة الربانية : « صلوا أنتم هكذا ... » (مت ٦ : ٩) . وكلمة «هكذا» لا تعنى نفس الكلمات فحسب ، بل تعنى أيضاً الطريقة التى قيلت بها . فلقد قصد الرب أن نصلى بكلماته هذه ، وبالأحرى قصد أن نصلى بنفس اتجاهاته ـ بقدر ما نستطيع كخليقة خاطئة ـ وذلك بالدخول فى روحه .

وفى الجلجثة ـ بالذات ـ نستطيع أن نرى كيف كان يصلى يسوع أثناء آلامه الأخيرة على الصليب ، فهو يصرخ قائلا : « يا أبتاه ، فى يديك أستودع روحى » (لو٢٣:٤٦). ولعل الذين دخلوا فى ضيقات مرة وأحسوا بانغلاق أبواب

النجاة أمامهم ، ثم وجدوا فى الثقة الالهية ملجأ لهم، يدركون معنى هذه الصرخة .

كم أشتهى أن ترفعنى اليك ياسيدى ... تمسك بى وتحملنى، فأنا حين أردد كلمة « فى يديك ... » أقصد أن ألتصق بك دواماً ، متعلقا بشخصك ، مرتبطا بك ، ثابتا فيك . وحينئذ فقط أستطيع أن اختبر معنى الصلاة .

لقد صلى يسوع صلاته الأخيرة بصوت عظيم ، صوت طغى على كل ما عداه فى الداخل والخارج ، صوت عبر عن جهاد مروع ... لذلك فان كل قوى الوجود تحققت فى تلك الصرخة .

أريد أن أشعر يارب فى صلاتى ومن خلالها أنه لاوجود لى ، ولا استطاعة لى أن أوجد إلا « فى يديك ... » .

لقد حذر يسوع تلاميذه من أن يكرروا الكلام باطلا أثناء الصلاة (مت ٦ : ٧) ، وكثيراً ما تأتى لحظات فى حياتنا نشعر فيها أننا محتاجون إلى البساطة وتجميع النفس بحيث تبدو الصلاة الربانية طويلة جدا بالنسبة إلينا ، ونحتاج

لأن نعبر عن صلاتنا فى كلمة واحدة ، وهذه الكلمة أعطيت لنا ... يسوع ! يسوع ! فلنرددها ـ لا بطريقة آلية ـ بل بالروح والحق .

إن كل أسرار خلاصنا متجمعة فى اسم يسوع ، وحين نردد هـذا الاسم يدخل يسوع حقيقة إلى قلوبنا ، ويملأها تماماً حتى ما تتشبع به لدرجة أن يصير الكلمة « جسداً » فينا ، هـذا ليس هو « التجسد » بالمعنى الحرفى ، ولـكنه مشاركة فيه بالنعمة . ان اسم يسوع ينتشر حينئذ فى النفس كما تنتشر بقعة الزيت بهدوء فى كل الاتجـــاهات ، فاسمه المبارك يحوى العالم كله كما تتجمع ألوان الطيف فى شعاع واحد من النور، ففى الكلمة خلق الآب كل شىء ، ولو أننا دعونا باسم يسوع على كل شىء فى الوجود، فان العالم كله سوف يتجلى ويتغير فى المسيح ، وحينئذ يأخذ معناه الحقيقى .

ربى يسوع... صل فىّ . دعنى أصمت لأسمع صوتك ، فلو أننى صليت بطريقتك ، أى لو أننى تركتك لتصلى فىّ

فلسوف تدخل كل أحداث العـــالم وخلائقه فى صلاتى وتتأثر بها .

فلنتأمل الآن فى « يسوع والخليقة » لأن العلاقة الوثيقة التى تربط يسوع بالخليقة لا تخص الانسان فحسب ، بل كما أن الله خلق كل شيء بالكلمة ، كذلك فالإله المتجســد يجذب نحوه كل شيء . كما قال القديس بولس إن الخليقة كلهـا « اخضعت للبطل » (رو ٨ : ٢٠) أى للشر الطبيعى والكوارث وقسوة القوانين الطبيعية ، وأنها « تئن وتتمخض معاً إلى الآن » (رو ٨ : ٢٢) وأن « توقع الخليقة ينتظر استعلان أبناء الله » (رو ٨ : ١٩) .

يسوع والطبيعة

فلنتأمل الآن فى علاقة يسوع بالطبيعة . . . فنحن نذكر حديث المسيح عن زنابق الحقل التى فاقت سليمان فى كل مجده (مت ٦ : ٢٩) ، وهذه دعوة إلى التعجب من الجمال الإلهى ، بل إلى الثقة فى أبينا الذى إذا كان يلبس العشب الذى سرعان ما يطرح فى التنور هكذا ، فكم بالحرى يلبس أولاده . هذا وجه من أوجه علاقة يسوع بالطبيعة ولكنه ليس أعمق الأوجه ، فالتعبير الرمزى عن الطبيعة لا يستوعب كل معناها . حقا ، الطبيعة كتاب مفتوح نقرأ فى دقائقه ـ وبطريقة غامضة ـ حقائق الحياة الفائقة للطبيعة ... حقائق اللاهوت ، ولكن هذا ضرب من ضروب عبقرية الوجدان الرمزى الذى عاش فى القرون الوسطى... ولكن هناك ماهو أكثر من الرمزية .

الطبيعة موجهة ، وهى تبذل جهداً منسقاً ساعية نحو يسوع المسيح ، فيسوع هو اتجاه كل تطور وغايته ، هو

السبب الخفى - أو ابرة البوصلة بحسب تعبير رجال الطبيعة - الذى نحوه تتجه كل الظواهر الطبيعية .

أثناء الدخول الانتصارى لأورشليم قال الرب للفريسيين: « إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ » (لو ١٩ : ٤٠) ، حين احتجوا على التلاميذ . ويسوع بهذا الكلام يظهر وظيفة الطبيعة الحقيقية التى لا يلحظها إلا المؤمن ، فلقد قاست الطبيعة من انحرافات مؤلمة بسبب الخطية الأصلية ، لكنها تصرخ نحو المخلص (رو ٨ : ٢٢) ، فكل العناصر تميل نحو الإله المتأنس : الحجارة والصخور تهيء له قبراً ، والماء يحصل على غايته العظمى فى المعموديه التى تخلق الانسان جديداً ، وشجر الزيتون ينتج زيت مسحة المرضى وشفائهم باسم المسيح ، وحبوب القمح وعناقيد العنب تنتج الخبز والخمر ليستعملها المخلص ويحملها سر جسده المكسور ودمه المسفوك ، ومن الاشجار صنعت خشبة الصليب .

وهكذا فان الطبيعة كلها تحمل إحساسا واحداً نحو المخلص ، وتأخذ معها الجهد البشرى فى الحصاد وصنع الخبز وإنماء الكروم وما إلى ذلك . كل هؤلاء يساعدون فى رفع الطبيعة ، أى فى تغييرها وتجليها .

يسوع والخليقة

يسوع هو المشتهى ، بل هو الشهوة نفسها ، لا شهوة النفس فحسب بل شهوة الخليقة كلها . فاذا ما تأملنا وجوده فى البرية « مع الوحوش » (مر ١ : ١٣) ، نجد أن هذه الكلمة البسيطة تفتح لنا آفاقاً واسعة للتأمل الخاشع . أليس هناك احتمال أن يلمس بقربه وبنعمته الخليقة الحيوانية ؟ نستطيع أن نلمس قيمة عالم الحيوان وكرامته لما يقول يسوع عن العصافير : « وواحد منها ليس منسياً قدام الله » (مت ١٠ : ٢٩) ، فكل حيوان موجود سابقاً فى فكر الله ، وقد أحبه حتى قبل ميلاده ، وصار موضوع اهتمامه وعنايته الحانية .

وإذا ما تأملنا دخوله بيت زكا ، وقوله : « ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك » (لو ١٩ : ٥) ، نجد علاقته واضحة بكل الخليقة ، وندرك رغبته فى أن يصير معروفاً منا فى

منازلنا أولا . لذلك يلزم أن نكتشف شخص المعلم فى محيط العائلة أولا ليبدأ أن يضىء . ومع أن الرب أرسل تلاميذه ليكرزوا بملكوت الله فى المدن البعيدة (لو ١٠ : ١) ، إلا أنه يقول لآخر : « إذهب إلى بيتك ، وحدث كم صنع الرب بك ورحمك » (مر ٥ : ١٩) فيسوع لا يعفى إنساناً من الشهادة له .

وربما تكون الشهادة فى بيوتنا ومحيطنا الطبيعى أشق من شهادة الرسول المتجول ، فهى تحتاج إلى كثير من الشجاعة والانضاع ، وإن كانت لا تحتاج إلى مزيد من الكلام ، فهذه الشهادة المنزلية يمكن أن تقدم فى صمت مطلق . وكل ما يلزمنا هو أن « نتغير » نحن ، وهذا التغيير يثير تفكير الناس فيتغيرون هم أيضاً .

قال يسوع للمفلوج : « احمل سريرك واذهب إلى بيتك » (مت ٩ : ٦) ، فالسرير سيصير شهادة للمسيح ، ويسترعى التفات الذهن إلى ذلك المرض العضال الذى شفى منه الرجل . سرير المفلوج علامة تساعدنا على الاعتراف بيسوع ، فهو

لا يريدنا أن ننسى أو نتجاهل ما أنقذنا منه ، وما قد غفر لنا . أما المحيطين بنا الذين يعرفون كيف تغيرنا فلا بد أن يتحققوا من أن هذا ما عمله المخلص فينا .

— ٢٤ —

أتحبني ؟

قال يسوع لسمعان بطرس : «أتحبني ؟» (يو ٢١: ١٥)، وهذا السؤال ما زال موجها لكل واحد منا . فهو سؤال أساسي ، وإجابتي عليه تحدد علاقتي بالمخلص . ترى ... هل أجرؤ أن أقول مع بطرس : « يارب ، أنت تعلم كل شيء ، أنت تعلم أني أحبك » (يو ٢١ : ١٧) . ياللأسف ، كثيراً ما يحدث في حياتي وأعمالي ما يتعارض مع هذا التصريح .

أفلا أقول في انسحاق : انني لا أملك هذا الحب ؟ أفلا أقرر في بساطة وربما في صدق : «لايارب ، أنا لاأحبك؟». ولكن هذا الانكار الجذرى لا يعبر عن الحقيقة كلها لأنني حتى في أبشع سقطاتي لا أجد أن ذكر المخلص وصورته

يتلاشيان تماماً من ذهني ، بل هما لا يكفان عن جذبي اليه . يا له من موقف معقد ! فالخاطىء يصرخ من أعماق شقائه محولا وجهه نحو المسيح ، مشتاقاً أن يتحد به رغم فقدانه للقوة التي تحطم قيوده .

إن الجواب الوحيد الذي يمكنني أن أقدمه هو : « يارب ، أنت تعلم كل شيء ، انت تعلم انني أريد أن أحبك ، فاعطني حبك » .

ثم يوجه الرب لبطرس أمراً للعنـــاية بحملانه وغنمه وإطعامها قائلا : « أتحبني أكثر من هؤلاء ... » (يو ٢١ : ١٥) ، وهكذا يلزم أن تعبر كل سلطة ومسئولية في الكنيسة عن حب عظيم جداً ، فالراعي ـ حسب فكر المسيح ـ مكرس للحب ، وغسل الأقدام قبل العشاء الأخير هو السر الأساسي الذي يكمن وراء حالة الرسولية .

لقد سأل الرب بطرس . « أتحبني ...؟ » ، ولكن يحق لكل عضو مؤمن أن يسأل راعي القطيع قائلا : « أتحبني ...؟ » .

أتحبني أكثر من هؤلاء ، أكثر من كل من أحبوني حباً طبيعياً ؟ كيف نقلت إلىّ حب الأب الذى أرسلك، ذلك الحب الذى يفوق الطبيعة ؟ متى غسلت قدمى ؟.

وهناك آية مخيفة تدينني هى: «إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى » (يو ١٤ : ١٥) ، وحفظ الوصايا معناه تنفيذ أوامر المخلص ، وهكذا يصير المعنى الواضح للاية هو : إن علامة الحب الحقيقى ليسوع هى حياة تتفق مع تعاليمه .

ولكن ، هناك معنى آخر يضاف للمعنى الأول : لا يستطيع أن ينفذ وصايا يسوع إلا من يحبه . إنه حب يسبق الطاعة كشرط لوجودها ومع أن الطاعة تحفظ الحب وتعطيه الثبات والضمان إلا أنها تستمد منه أصلها وغايتها وفاعليتها الباطنية .

كيف أطيعك ياسيد ... إن كنت لا أحبك ؟ إذن ، حولنى إلى حبك وحينئذ أعرف كيف أطيعك . إننى فى ملء الضعف البشرى أحتاج إلى حبك الحافظ لأستطيع أن أطيع كلمتك ، فان لم يمتلىء قلبي بالحب ستدخل اليه التجربة حتما . املأ قلبي للتمام ، كما يملأ الانسان كوب الماء حتى حافته ،

وارفع من نفسي كل الشوائب . إن رجاء الحصول على حبك هو الذي يمنعني من اليأس في حفظ وصاياك .

هذا الملء الكامل للقلب يعبر عن الوصية العظمى: «أحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ، وتحب قريبك كنفسك» (مت ٢٢ : ٣٧) . فاذا امتلأ القلب فانه يقودنا إلى سؤال دقيق للضمير : هل هناك مكان في قلبي لأى شيء آخر غير يسوع - في هذه اللحظة بالذات ؟

ترى ... هل غفر الرب خطايا المرأة الكثيرة لأنها أحبت كثيراً (لو ٧:٤٧) ، أم أنها أحبت كثيراً لأنه غفر لها الكثير؟

النص اليوناني لحديث المسيح يحمل كلا المعنيين ، وكلاهما يعبر عن حق عميق . فالأول يجعل الغفران استجابة للحب المقدس ، ولكن حتى في هذا المعنى فالحب الذى استدعى الغفران هو نعمة أعطيت لها سابقاً كمحرك داخلي من المخلص. أما المعنى الثاني الذى يصير فيه الغفران مولداً للحب ، فنرى مبادرة المخلص تسود الموقف ، إذ أنها تثير في النفس أول حركة للتوبة ، هذه التي بدونها لا يصير الغفران . وبعد التوبة

والغفران يأتى الحب كاستجابة من النفس التى غفر لها . ولو أننى أحببت يسوع بقدر ما غفر لى ، أفلا يشتعل قلبي بالحب ؟

قال الرب : « اثبتوا فى محبتى » (يو ١٥ : ٩) ، والأصل اليونانى يوضح بجلاء أن الحديث هنا ليس عن حبنا ليسوع بل عن حبه لنا ، وكأنه يقول : « اثبتوا فى الحب الذى لى ، الحب الذى هو حياتى ، ويعبر عن كل طبيعتى » ولكن الحب الذى فى يسوع هو مصدر حبنا له ، وفاعلية هذا الحب أيضاً .

— ٢٥ —

حمل الله

لا يكفى أن أعرف يسوع معلماً يتحدث إلىّ أو صديقاً يجذبنى إليه، فالراعى الصالح هو أيضاً حمل الله . إنه الذبيح الذى قدم نفسه ضحية من أجلى . ونحن لا نستطيع أن نعرف قلب المسيح بدون المعرفة العميقة للحمل .

لقد أعلن يوحنا السابق عن يسوع أنه « حمل الله » (يو ١ : ٢٩) ، وهذا الاعلان هو الحدث الأول فى حياة المخلص العلنية بعد معموديته . إنه الاعلان الذى قاد تلميذى يوحنا ليتبعا يسوع فى صمت ، فاعلان الحمل هو المدخل إلى سر الخلاص .

لقد اكتشف يوحنا الحمل اكتشافا حقيقياً ، أو بالحرى أن استعلان المسيا كحمل قد أعطى له . فلقد قال : « أنا لم أكن أعرفه » (يو ١ : ٣١) . ثم تحدث المعمدان عن الفأس التى وضعت على أصل الشجرة ، كما تحدث عن واحد أقوى منه (مر ١ : ٧) « رفشه فى يده ، وسينقى بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن ، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ » (مت ٣:١٢)، إلا أنه لم يقل شيئاً عن الحمل . أما الآن فهو يعلن الحمل، ذلك الذى يعطى صورة عكسية للرفش المروع . لذلك فقد كان اعلاناً غير متوقع ، وحالما رأى المعمدان يسوع مقبلا اليه فى غد يوم عماده صاح قائلا : «هو ذا حمل الله » (يو ١ : ٢٩) ، فكانت صيحته لا من شفتيه فقط بل من أعماق قلبه أيضاً .

ولقد كرر يوحنا نداءه بعد العماد بيومين قائلا : « هوذا حمل الله » ، ولكن يسوع لم يكن فى هذه المرة مقبلا نحو يوحنا بل كان سائراً نحو غايته النهائية . هاتان المناسبتان أعلن فيهما مكتشف الحمل - فى كلمات قليلة - شهادته له ، الأولى حين يقبل الحمل إلينا ، والثانية حين يكون الحمل فى طريقه إلى الآخرين .

وينطق يوحنا بكلماته وهو شاخص نحو يسوع : «هوذا حمل الله » ، ها هو الحمل ، ركزوا انتباهكم فيه . وبهذا يدعونا لننظره ونتحقق من حضوره ، لأن الأصل اليونانى للكلمة يعنى النظرة الطويلة النفاذة . ترى . . . هل نظرت إلى يسوع نظرة عابرة ، أم أننى ضمنت فى نظرتى شيئاً من الإصرار الهادىء والتعمق ، كما فى نظرة المعمدان ؟

يسوع هو حمل الله ... ليس الحمل المختار من البشر بل المعد من الله نفسه لأجل الذبيحة ، الذى كان - ولا يزال إلى الأبد - يخص الله نفسه . وهو الحمل الوحيد الذى يليق بالله لأنه كامل وبلا عيب . إنه خروف الفصح الحقيقى

الوحيد الذى بذبحه يكون الخلاص .

ولنذكر أن الحمل هو أصغر ما فى القطيع ، وهذا الصغيرعنصر أساسى فى مفهوم «حمل الله» ، لأن فكرة الحمل تتحد مع فكرة الطفولة .

— ٢٦ —

الحمل وبساطة الطفولة

أعطت الملائكة علامة للرعاة ليتعرفوا بها على مخلصنا وهى هذه: «تجدون طفلا مقمطاً ومضجعاً فى مذود» (لو ٢ : ١٢) . إن ميلاد المسيح تم دون أن تصحبه أية علامة من علامات القوة ، بل بالعكس فالإله الذى صار جسداً سيعرف أولا فى فقره واتضاعه وضعفه . وهكذا كطفل مقمط كان تحت رعاية من حوله من البشر ، فهو يعتمد عليهم ولا يستطيع أن يقاوم أحداً ، لا يقدر أو يدافع عن نفسه ولا أن يباشر إرادته . وكما بدا يسوع فى ميلاده هكذا سيبدو فى آلامه ، وهذا ما يريدنى أن أختبره أيضاً .

دعا يسوع الأطفال إليه قائلا : «دعوا الأولاد يأتون إلىّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله » (مر ١٠ : ١٤). ثم أخذ ولداً واحتضنه وأقامه فى الوسط قائلا : «من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله » (مر ١٠ : ١٥) .

إن تلميذ المسيح البالغ لا يلزمه أن ينزع عنه كل الصفات البشرية التى يمتلكها الطفل بعد ، ولكنه يحتاج لأن ينزع عنه خطايا كبر السن ، ويسعى لامتلاك الامكانيات الايجابية التى للطفل . لأن صعود الإنسان نحو الله - فى نظر المسيح - هو هبوط فى نفس الوقت ، فهو يحتوى بالأخص على « تصغير » للنفس لأن « الأصغر فيكم جميعاً هو يكون عظيماً » (لو ٩ : ٤٨) . لذلك ففى كنيسة وليد بيت لحم ، كنيسة الحمل ، هناك درجات اتضاع غير منظورة .

ويفضل يسوع أن يستخدم الوسائل الفقيرة والبسيطة التى يستخدمها الطفل أيضا ، فلقد كان ممكناً أن ينزل المن من السماء ولكنه أشبع الجموع بخمسة أرغفة من شعير وسمكتين صغيرتين كانت لدى أحد الأولاد (مت ١٤ : ١٩) ، إلا

أن هـذه الأرغفة والسمك ينبغى أن نحضرها إلى يسوع ليشكر عليها ويوزعها بيده على التلاميذ . إن الإمكانيات البسيطة - التى لطفل صغير - تصير لها فاعلية عظيمة لو باركها يسوع .

لقد دعا يسوع تلاميذه بعد العشاء الأخير قائلا : « يا أولادى الصغار[1] » (يو ١٣ : ٣٣) ، ليس فقط « يا أولادى » بل « أولادى الصغار » ، والكلمة المستعملة تحوى معنى الصلة والعاطفة العميقة وتظهر حنانه الخاص نحو أفراد لم ينضجوا بعد .

ياسيدى ... يا من دعوت تلاميذك « أولاداً صغاراً » ، أذكرك أننى لا أمتلك الكمال ولا قوة النضج كابن لله ، أعطنى أن أبقى - أو بالحرى أن أصير - طفلا صغيراً بين يديك . أعطنى أن أنقاد إليك ، لأن خطية آدم الأول كانت رفضه أن يكون منقاداً للاب السماوى . أنا ضعيف كالطفل فاعطنى الوداعة والثقة الكاملة التى لطفل صغير .

---

(١) *Little Children* (R. V.)

إن من يتبع الحمل فى طريقه الصغير - طريق الطفولة - الذى بدأه فى بيت لحم ، يرى كل الأمـور الصغيرة أموراً عظيمة . الحمل رمز للبساطة والبراءة والنقاوة « ان لم أغسلك فليس لك معى نصيب » (يو ١٣ : ٨) ، هذا ما قاله يسوع لبطرس . أستطيع أن أنال نصيبي مع يسـوع حينما أكون نقيا ، لكن يسوع وحده هو الذى يستطيع أن ينقينى .

— ٢٧ —

النقـــاوة

قال الرب لتلاميذه : « أنتم الآن أنقياء بسبب الكلام الذى كلمتكم به » (يو ١٥ . ٣) ان كلمة المخلص ليست حافزاً للنقاوة وأداة لاعلانها فحسب ، بل هى تنـقى النفس فعلا وبطريقة جوهرية . وحين نتقبل هذه الكلمة ونفتح لها قلوبنا ونستسلم لعملها ، تتنقى حتى قبـل أن نطلب الغفران ونمنحه رسمياً ، ذلك لأننا نتقبل الكلمة الذى صار جسداً . هذه النقاوة تستمر ما دامت النفس متحدة بالكلمة .

طلب يسوع من الخدام - فى عرس قانا الجليل - أن يملأوا الأجران ماء ، وتلك الأجران كانت تستعمل للتطهير فى الاحتفالات الرسمية (يو ٢ : ٧) ثم حول هذا الماء خمراً . الماء ينقى والخمر تعطى النشوة ، لذلك فهذه الحادثة تعبر عن فرح المخلص بمن يستضيفونه . ولكن قبل أن يصير الماء خمراً يجب أن تملأ الأجران « إلى فوق » أى حتى حافتها .

لا وجود للمحبة - حسب المسيح - بدون النقاوة ، والنفس التى امتلأت بماء النقاوة حتى حافتها هى التى يتحول ماؤها إلى خمر المحبة .

يا سيد ... كيف أفهم ذلك المثل الذى ذكرته عن وليمة العرس ؟ فلقد طرح الملك الرجل الذى ليس عليه ثياب العرس إلى الظلمة الخارجية (مت ٢٢ : ١٣) ، ولم يكن ذلك الرجل بين المدعوين مقدماً بل كان ممن أحضرهم الخدام من الشوارع ومفارق الطرق ، ولم يستطع لذلك أن يحضر معه ثياب العرس ؟

يا بنى ... إن أحداً لا يملك ثياب العرس قبل وصوله إلى مكان الوليمة ، بل فى المنزل توزع الثياب على الحاضرين . سلنى فأعطيك ثوباً ، فأنا أعطى جميع من أدعوهم إلى العرس، وأنت بدونى لن تمتلك شيئاً ، ولن تستطيع أن تفعل شيئاً ، يجب أن تحصل منى على كل شيء .

إن فكرة ثياب العرس والنقاوة توقظ فىّ وعياً ضد الخطية ، لأن رؤية الحمل فيها رؤية لخطاياى أيضاً ... «هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم» (يو ١ : ٢٩) . . . لذلك فاكتشاف الحمل يعنى إدراكنا للخطية وخطورتها وثقلها الذى لا يحتمل . والعجيب أن الحمل لا يرفع عن أكتافنا ثقل خطايانا بعيداً عنا وحسب ، بل إنه يأخذها على كتفيه هو ، إنه يرفع خطايانا ليحملها هو .

إن «خطية العالم» ليست مجرد مجموع خطايا الناس ، ولكنها تعبير عن الفساد الأصلى الذى أصاب البشرية طراً ... وخطاياى الشخصية تظهر هذا الفساد ، محققة ومؤكدة تلك الخطية .

يسوع يطلب إقراراً بالخطية

« اذهبي وادعى زوجك » (يو ٤ : ١٦) ... قال يسوع هذا للسامرية بعد أن كاد يطلعها على سرّ الماء الحى ، ولكنه قطع حديثه فجأة ودعاها لأن تكتشف آثام حياتها .

ولما أرادت السامرية أن تحدّ نفسها باعتراف منقوص ، أظهر لها يسوع كل شيء بوضوح . لقد وضع أصبعه على الجرح ليفتحه : خمسة أزواج بالتتابع ، والذى معها الآن ليس زوجها .

إذن ، فيسوع لا يدعنا نسترسل فى الحوار معه دون أن يواجهنا مع حقائق حياتنا المباشرة ، ويسألنا عن جراحاتنا الخفية . وحتى إن فضلّنا أن نبقى على مستوى الأفكار ، وأصغينا إلى يسوع وهو يقدم تعليماً أو رسالة عامة ، إلا أنه يقول : « إذهبي وادعى زوجك » .

كذلك قال يسوع لمفلوج كفر ناحوم : « يابنى مغفورة

لك خطاياك » قبل أن يقول له : « احمل سريرك وامش » (مت ٩ : ٢) ذلك لأن يسوع يهتم بأن يخرج الخطية من مكمنها.

وكثيراً ما نتوقع من يسوع أن يتحدث عن الاصلاح الاجتماعى والنمو المادى ، ولكننا نراه يحدثنا عن الخطية والتوبة والغفران . حقا ، إن الالتزام بالانجيل يستوجب بالضرورة إصلاحات خارجية ، ولكن سواء كانت المشكلة فى المرض أو العمل ، فى الظلم أو العدالة الاقتصادية ، فالخطية هناك كائنة وراء أعماق هذا كله . لذلك فالحرية الحقيقية ترتبط بالتغيير الروحى .

وكلما أنمو فى معرفة يسوع أجد أن كل مايعترض طريقى من أحداث طارئة أو طبيعية يرتبط بالخطية : سواء الأصلية أو الشخصية . لذلك فسوف أقرأ سجل حياتى بطريقة مختلفة بقدر اقتناعى بحقيقة الخطية وشناعتها .

ألا نرى أن سبب فشل بعض الحركات المسيحية حاليا نابع من أنها تبتعد تماما عن ذكر الخطية أنها خطية ؟ ولكن يسوع لم يتكلم بهذه الطريقة .

خيانتنا للمسيح

أعلن يسوع لتلاميذه أن واحداً منهم سيسلمه ، فلم يشكّوا فى كلماته أو يصيحوا قائلين : «هذا مستحيل يارب» ، بل حزنوا وبدأوا يسألونه واحداً بعد الآخر : « هل أنا ياسيد » (مت ٢٦ : ٢٢) . إن خبرة سقطاتى تقودنى إلى الاتضاع الشديد ، فأنا لا أضمن عدم السقوط فيما بعد ، ويجب أن أسأل نفسى : « هل سأخونه ثانية ؟ هل سأكون أنا مسلّمه الثانى ؟ »

قال يهوذا لليهود : «ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه إليكم » (مت ٢٦ : ١٥) ... ألا ألقى أنا نفس هذا السؤال على الشيطان : « أية لذة ستعطينى ؟ ... إذا أعطيتنى هذا الأمر أو ذاك سأسلمه لك ... » . وربما أقول هذا بعد أن أحوّل عينى أو أغسل يدىّ . . لكن بقرعات عنيفة فى الضمير ...

وعلى كل الوجوه سأنتهى بأن أسلمه .

أيتها النفس المسكينة أنت تريدينى ولكنك تريدين خيانتى فى نفس الوقت .. هذا هو السبب فى أنك تطلبين أى شىء آخر بدلا منى ، ولكنك لا تستطيعين أن تريدينى حقاً مالم تريدينى وحدى .

ذكر الانجيل عن بيلاطس أنه «أسلم يسوع لإرادتهم» (لو ٢٣ : ٢٥) ، وهذه العبارة تنطبق على تماماً فى كل مرة أتعاون شخصياً مع المجرب أو أشترك فى خطايا الآخرين . ولقد قال الرب ليهوذا : « أبقبلة تسلم ابن الإنسان ؟ » (لو ٢٢ : ٤٨) ، وقبلة يهوذا هى كل صلاة أحاول تقديمها لله ، بينما أنا متمسك بجذور الشر فى قلبى .

قالت الجارية عن بطرس : « هذا كان معه » ثم قال آخر « أنت منهم » (لو ٢٢ : ٥٦ ، ٥٨) ... وهذا الفكر يغمرنى ويطغى على كلما وجدت نفسى - أثناء الخطية - عاجزاً عن نسيان اللحظة التى اتبعت فيها يسوع .

يا مخلص ... أنت تشق طريقك إلىّ خلال جراحاتى الخفية وخطاياى الكثيرة ... أنت حاضر أثناء خطيتى . وحين أخطىء تبقى أنت ساكناً فىّ بلا حراك ، ولكن حضورك يارب يدين ما أعمل . كذلك أنت تفهم نفسى وتفهم خطيتى أعمق مما أفهمها أنا ، فأنت أقرب إلىّ من نفسى . لذلك فأنت لا تقف أمامى كقاض مجهول ، بل أراك تتحد مع الخاطىء الذى أمامك ، ورغم أنك على النقيض منه إلا أنك تعانقنى بحضورك الغامر وعطفك المتدفق .

انى أشعر ياسيدى بحضورك وعطفك أثناء ممارسة الخطية التى أفتقر إلى الشجاعة اللازمة لإيقافها ؛ ولكن حضورك وعطفك يمكّنانى من الاشمئزاز والألم والرعب ، فألتصق بك وباسمك : يسوع !

يامخلصى ... إن حضورك معى أثناء الخطية نعمة عظمى ، فيدك تمتد لتنتشلنى من الهوة ، ولو أننى رفضت هذه النعمة وأصررت على ممارسة الاثم ترى ... ماذا سيكون من أمرى . إنك لا تصدر ياسيدى نطقاً بالحكم علىّ ، ولكن وجودك

الشخصي يحكم عليّ تلقائياً ، وإن كان يحمل مع الحكم بشارة وغفراناً . ولن أستمع إلى نطق الغفران قبل أن أستمع إلى نطق الإدانة الإندانة .

ومهما كانت ذنوب الماضي والحاضر ردية إلا أنها ترتبط بتدبير النعمة ، تماماً كما يرتبط مصير البشرية بخطة النعمة التي في قصد الله . إن « نشازي » الشخصي مازال جزءاً من سيمفونية النعمة الشاملة ، ولكن هذا لا يبرر « نشازي » لأنه ضد النعمة ـ وهذا هو الموت ذاته . إن التضاد بين النعمة والخطية لا زال يحمل إمكانية دخول خطاياي ضمن تيار النعمة طالما أن حزني وغفرانك يتداخلان ... مبارك أنت يا مخلصي !

وهناك في المسيح رفض واختيار ، وحين أتحد به أصير مقبولاً من أجل المحبوب وفيه . أنا مرفوض كخاطيء في يسوع لأن « الذي لم يعرف خطية صار خطية لأجلنا » ، ولكن ثمة مبادلة عظيمة حدثت على الجلجثة بين الخاطيء والإله : أنا أخطيء ويسوع يموت . لقد احتوى قلب المسيح الخطية ، وصار الإله المتأنس مرفوضاً ومحكوماً عليه .

لكن ... هناك أعماق كثيرة أمام المؤمن ليكتشفها فى هذا السر بقدر ما يمكن أن نكتشف أى سر إلهى . فياسيدى ... دعنى أحدثك عن هذا الأمر .

— ٣٠ —

سر الهالكين

ربى يسوع ... إن سر يهوذا يحزننى ، أو بالحرى - لأننى لا أعرف ماذا كانت مشاعره النهائية - يحزننى سر الخطاة الذين يموتون دن الرجوع إليك . إننى أعرف ماقلته عن فصل الخراف عن الجداء ، وعن النار التى لا تطفا ... وهذا ثابت فى الكتاب . إننى أعرف أن نهاية البشر الذين يقولون لله : « لا » إلى الأبد... نهاية مروعة ، ولكنها النتيجة الحتمية لحرية الإرادة الموهوبة لنا . وأعرف أيضا إننا لا نضمن أن انسانا ما مرفوض إلى النهاية . أعرف هذا كله ، ولكن ... لماذا خلق الآب هذا النوع من البشر الذى يعرف مقدما أنه لن يلتصق بهم ؟ أضع أمامك يامعلمى هذا السؤال فى اتضاع وانقياد ... فعلمنى .

يا بنى . . . أجيبك فى بساطة : هـذا السؤال أكبر منك ، فانتظر فى ثقة إلى اليوم الذى فيه سـوف تعرف وترى ان الاستنارة الإلهية لم تعط لمن لا زالوا فى هذا العالم . كذلك ـ دعنى أضيف ـ لن أمنحك إعلانا شخصياً من جهةهذا الأمر، ولكنى سأذكرك فقط بما عرفته سابقاً أو مايجب أن تعرفه . لقد ساعدتك فى أن تؤمن وتفهم ـ بعض الشىء ـ كيف أن سر الاختيار يحدث فىّ ، لأن الذين يحبـونى يصيرون مقبولين فىّ . وما أريد أن أقنعك به الآن أن سر الرفض أيضاً سيجد حلاً ونوراً فىّ .

يحق لكل إنسان أن يسمع منى هذا القول: «أنا برك»، ويحق أيضاً لكل إنسان أن يقول لى أنا البار: «أنا خطيتك».

فلقد سكبت برى للخطاة إن قبلوه ، ولقد حملت ثقل الرفض الناجم عن خطاياهم جميعا . وكما أن هناك علاقة بين كل مختار وبين البر الذى حصلته له على الصليب ، كذلك هناك علاقة بين كل رافض للتوبة وبين نفسى بقدر ما أخذت مكانه على الصليب حاملا خطيته ودينونته . وما دمت قد أخذت مكان

الخاطىء ، فحتى ولو رفض مبادلتى ، فلقد تمت - بنوع ما - مبادلة بينى وبينه ، وفى استمرار هذه المبادلة وفى قرعاتها تستطيع أن تتأمل سرّ الرفض .

أنصت لى جيدا يا بنى ... أنا لم أقل أننى خلّصت - على الصليب - أولئك الذين لا يريدون التفاعل مع الخلاص الذى قدمته لهم طول حياتهم ، ولكنى أقصد فقط حاليا : أن هناك صلة حقيقية بينى وبين غير التائبين تأسست على الصليب وهى باقية دائما . لقد جزت خبرة الدينونة برهبتها وكمالها ، وهكذا جرى فى أعماق تلامس بين القداسة المطلقة وكل خطية ارتكبها كل خاطىء . كما تم فى أعماق لقاء بين المجد المطلق والرفض المطلق ... رفض كل خاطىء .

وما هى نتائج هذا اللقاء سواء فى الماضى أو الحاضر ؟

يا بنى ... لن أذكر الك الآن شيئا أكثر تحديداً ، فأنا أريد أن أجعلك ترى الأفق من بعيد دون أن أعطيك امكانية قياسه. آمن - بكل قلبك - بكلمات إنجيلى بخصوص الخاطىء

الذى لا يتوب ، ولا تغرق نفسك فى تخمينات ومناقشات عن عدد هؤلاء الخطاة ، وعن مدة وطريقة رفضهم . أكّد على ما أكّده رسلى وكنيستى ولا تقل شيئا أكثر من ذلك . ولكن اعلم جيداً - يا بنى - أنك لم تدرك بعد أعماق قلبى ، ولسوف تدركها فيما بعد .

قف يا بنى خائفا من الرفض ، ولا تصدق الذين يعلقون أهمية ضئيلة على الانشغال بأمر خلاصهم الشخصى . أنا لم أتكلم هكذا ، ولكن إياك أن تنسى أن الراعى الصـــالح يترك خرافه المؤمنة ليبحث عن الخروف المتمرد الضال ، وإذ يجده يحضره على منكبيه .

آمل أن تتأكد من حقيقة واحدة : أنا ، وأنا شخصيا ، هو الاجابة عن اسئلتك القلقة بخصوص الخاطىء الذى لا يتوب. وإن كان شخصى هو الجواب ، تستطيع أن تلمس الاجابة ولو فى غموض. لا تتعجل فى أن تترجم الجواب فى كلمات... أنظر وتامل فى صمت ... والجواب سيتوافق مع شخصى . تأمل فى صورة المصلوب فهو الجواب على هذه المشكلة، وكل مشكلة أخرى .

وحين أحل هذه المشكلة التى تسبب لك الألم ، فلسوف ترى فى ذلك اليوم كيف تسطع قداستى وعدلى بوضوح دون أن تكون محبتى ورحمتى أقل إشراقا . بل ان عدلى سيشرق خلال رحمتى ، وهذه تشرق خلال عدلى . وحينئذ سترى هذا السر مفرحاً ومجيداً فى آن واحد . لأن سر الخاطىء الذى يرفض التوبة سيكشف محبتى دون أن يجد الشر أى تساهل أومساومة . ولقد أخبرك رسولى أننى سأصير حينئذ الكل فى الكل . ومع أنى لاأستطيع أن أخبرك الآن كيف سيكون هذا لأنه سر إلهى ، لكن آمن فقط وترجّ .

يا سيدى ... أشكرك من أجل السلام الذى غمرتنى به كلماتك ، وأنا لا أريد أن أذهب أبعد مما أخبرتنى . ومع أننى - حتى الآن - لا أرى المنظر واضحاً ومحدداً ، لكننى أرى سابقا النور الذى سيغمره . وهذا ما يحدث معى دوماء فبقدر ما أسلط نورك على خطية العالم بقدر ما اكتشف خطاياى وأتذكرها فأعوض بثقلها فى الحزن .

أنا أعتقد فى هبة الغفران لكل من يطلب ، وأعتقد أنك ستملأ هوة عدم استحقاق الخاطىء ، ولكن . . . ماذا عن أولئك الذين قاسوا بسببى ، وألحقت بهم أضراراً ؟

— ٣١ —

صار خطية لأجلنا

يابنى ... أنت لاتعرف إلى الآن معنى هذه العبارة : إننى صرت خطية لأجلك (٢ كو ٥ : ٢١) . أنت تفكر - فى رعب - فى الشر الذى ارتكبته حديثا أو منذ زمن بعيد ، فى هذا الإنسان أو ذاك . أنت تعرف أنهم قاسوا بسببك الكثير ، وأن اصلاح هذا الخطأ ليس الآن فى مقدورك . انصت إلىّ ... لقد أخذت أنا مكان هؤلاء ، ضحايا أنانيتك القاسية ، فلم تعد خطيتك موجهة ضدهم بل ضدى ، ولقد أخذت أنا مكانك - على الصليب - كمذنب خاطىء . أنا « العقدة » التى تربط كل هذه العناصر معاً ، وأنا الذى أحلها ، لأننى على عاتقى التلف الذى حدث ، وسببه أيضا . وسواء أكان الاصلاح

يمكننا أو متعذراً فاطرح خطيتك وحولها إلىّ ، لأنه فىّ يكون التفكير والغفران .

انزع عن نفسك كل فرق التبرير الذاتى ، وتمسك - بالإيمان - بالفداء والخلاص الذى قدمته لك . تعال إلىّ عاريا تماما ، وغير منتظر أى شىء سوى رحمتى . لا تشغل بالك فيما بعد « كيف أصلح ما افسدت ؟ » فالاصلاح آت كنتيجة طبيعية لالتصاقك واتحادك بى ، ولسوف تبرر بايمانك الشخصى لا باصلاحاتك . ولكنك لا تستطيع ان تفتح قلبك للايمان الحىّ ، الايمان المخلص ، ونعمتى وبرى ، إلى حين تصمم على تميم اعمالها وحمل ثمارها . انا ساصلح كل شىء ، ولكنك ايضا ستصلح خلالى ومعى وفى ، ولكى تصلح ما فسد فابدأ بالقاء نفسك بين ذراعىّ .

يا مخلصى ... اخبرنى ثانية كيف ستأخذ خطاياى على عاتقك ؟

يا بنى ... أنا أحب أن تكون أكثر إدراكا لهذا السر ،

سر المبـادلة ، وأحب أن يدركه الكثيرن أيضاً . فكثيرون يشعرون بانكسار شديد وهم يطرحون خطاياهم عند قدمى ، ولكن كثيرين أيضاً يشعرون بوضوح بسلام وسلطان قوى يصاحب كلمتى حين تعلنها الكنيسة : « مغفورة لك خطاياك » (مت ٩ : ٢) . قليلون جدا ... هم الذين يعرفون كيف يتم ذلك العمل الذى بواسطته يأخذ حمل الله خطايانا على نفسه . لقد عرفتك سابقا أننى أكون حاضراً أثناء خطاياك ، وأن حضورى هذا يكون دياناً وشفوقاً معـــاً ، وحينئذ أنتظر نظرتك والتصاقك بى ، فاذا أعطيتها لى يتحول محور العمل . لاتعد الخطية فى الوسط فيما بعد ، وكل قوى الشر تندحرجانبا فى هذه اللحظة ، وأمسك أنا بمحور الأمر فتتحرر أنت . هنا يتحقق ما حدث فى جثسيمانى والجلجثـة حين أخذت وضعك وخطيتك ، فلا تقوم الأزمة ـ فيما بعد ـ بينك وبين الخطية بل بينى وبينك أنت، إذ ينزل شعاع على نفسك من قلبى فيجذبك ويتمكن منك، وهكذا ترتفع نظرتك إلىّ لأنك تسلم نفسك لقيادة هذا الشعاع .

مع يسوع ... إلى أورشليم

أخذ يسوع الاثنى عشر إليه ، وقال لهـم : « ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الانسان يسلم» (مت ٢٠ : ١٨). ولقد أوضح الانجيل أن هذا جرى فى محادثة خاصة ، فلقد خص يسوع رسله ـ وليس كل تابعيه ـ بسر هـذه الرحلة بينما كان صاعدا إلى أورشليم . وهو يريد الآن ـ بالتأكيد ـ من كل مسيحى أن يشترك فى الحدث الحاسم الذى جرى فى أورشليم . ويسوع يختـار الوقت المناسب كى يدعو تلميـذه ليشترك فى امتيازات الرسل ، ويصحبه صاعداً إلى أورشليم ، واضعا أمام ذهنه النهاية الحزينة ، وبهذا يبقى يسوع سيداً للزمن وللدعوات الفردية .

كم من المسيحيين قدلمحوا هذه الدعوة ؟ وكم منهم أدركوا أن ما حـــدث فى أورشليم ، وما زال يحدث فى أورشليم الأبدية الخفية ، هو أهم ما فى العالم ؟

ياسيد ... لقد أخذتني جانباً في الطريق وأسمعتني الدعوة وأردت أن أفصل نفسي عن الناس لأتحد بهم بطريقة أفضل، وأن أصحبك - حتى النهاية - في رحلتك . أنت تكشف لي معنى هذه الرحلة ووجهها ، وسوف تستمر كاشفاً لي إياه دائما .

يا سيد ... سأحب الصعود إلى اورشليم ، منذ اليوم ، بمعونة نعمتك . ولسوف يصير كل ما أراه وأسمعه عنك خلال ذلك الأسبوع الأخير العظيم موضوع اهتمامي الكامل طوال حياتي . فهذا الأسبوع يجب أن يصير أنموذجا لكل الأسابيع الأخرى ، فتشمل أنت كل شيء كمركز للدائرة الكبيرة والصغيرة على حد سواء .

سأدير ظهري لكل ما كنت أبحث عنه وأتبعه ، متأسفاً عما كان في حياتي الماضية من أمور لا أستطيع أن أجعلها جزءاً من سر فصحك العظيم الذي تحب أن أحيا فيه دائما . سأصعد معك إلى اورشليم ... إذن ، فليصمت الآن كل جسد .

ويفتتح الانجيل الرابع حديثه عن الفصح الأخير والآلام

المقدسة بهذه الكلمات : « يسوع... إذا كان قد أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم إلى المنتهى » (يو ١٣ : ١) ... إلى المنتهى » ... هذا واضح ليس لأن يسوع أحب البشرية حتى آخر لحظة من حياته على الأرض وحسب ، بل لأنه أحبهم حباً كاملا ، شاملا ، أكيداً ومحدداً . لقد أحبهم إلى أقصى درجة ممكنة ، أما آلامه فقد أضافت اللمسة الأخيرة إلى حبه. هناك يتعرف التلميذ على يسوع من عمق حصيب ، وهناك أكتشف كم أنا محبوب ، وبأى ثمن . لقد أظهر الرب نفسه « كحمل » إلى أقصى درجة اثناء تضحيته ... فيا سيدى ... اكشف لى سر الحمل .

- ٣٣ -

العشاء الأخـــير

قال الرب لتلاميـذه : « شهوة اشتهيت أن آكل معكم الفصح » (لو ٢٢ : ١٥) . وليس الأمر قاصراً على الفصح الذى سبق يوم الجلجثة ، ولا البصخة التى نحييها كل عام ، فكل لحظة يمكن أن تصير فصحاً ، وكل فصح هو عشاء ودود

مع المسيح فيه نتحد بالحياة الإلهية المعطاة لنا من أجل خلاص العالم ، وهو اتحاد مع الجسد المكسور والدم المسفوك . وهذا الاتحاد المخصوص يميز الفصح عن الاتحاد بالمسيح بالمعنى العام ، فكل سر البصخة من صلب وقيامة كامن في العشاء الرباني . وليس سر العشاء الأخير مقصور على المشاركة المنظورة في الأفخارستيا أثناء اجتماع المؤمنين ، ولكن هناك عشاء آخر غير منظور وباطني يمكن أن يحدث في نفسي كل لحظة وفي كل مكان بطريقة روحية محضة... « ان فتح أحد الباب أدخل إليه وأتعشى معه .. » (رؤ ٣ : ٢٠) . وحقيقة هذا العشاء الغير المنظور لا تقل عن حقيقة العشاء المنظور وإن كان من نوع آخر ، ولكي نميز بين العشاءين نحتاج إلى نظرة عميقة .

« شهوة اشتهيت أن آكل معكم الفصح » (لو ٢٢ : ١٥) ترى ... أي فصح يقصد ؟ لابد أنه الفصح الأخير الذي أحياه المسيح قبيل موته ، والذي فيه سيكشف لتلاميذه سر خروف الفصح الحقيقي . إن أكلات الفصح التي يشتهي أن يأكلها معي هي التي ستمكنني من أن أكتشف الحمل.

أرسل يسوع هذا السؤال لصاحب المنزل « أين المنزل[1] حيث آكل الفصح مع تلاميذى ؟ » (مر ١٤ : ١٤) . وهذا السؤال يسطع بمعان غنية لو أننا التفتنا للأصل اليونانى لكلمات القديس مرقس : « أين منزلى ، أين حجرة استقبالى ؟ » هنا نكتشف مزيجا من الاتضاع والأمر . فيسوع يسأل عن مكان حجرته ، وهو يطلبها فى ثقة أنه صاحبها ومالكها ، فلقد شغل هذه الحجرة فعلا وهى لذلك تخصه .. لكنه اضطر لأن يستعيرها من إنسان . إنه يرجو نفسى أن تصير مكاناً يصنع فيه فصحه لأن نفسى تخصه ، ولكنه يريد أن يأتى إليها كضيف ويطلب منى حسن ضيافته .

« المعلم يقول إن وقتى قريب . عندك أصنع الفصح مع تلاميذى » (مت ٢٦ : ١٨) . «مع تلاميذى» ... لأن فصح الرب جماعى دائما ويستحيل أن يكون فرديا . وحتى لو أجرى الرب فصحه غير المنظور فى علية نفسى ، لابد أن يبقى بابها مفتوحاً لدخول كل تلاميذ المسيح ، فما دمت مع يسوع

---

(1) My guest-chamber (RV) My room (W) My dwelling

فأنا مع بطرس واندراوس ويعقوب ويوحنا وبولس وسائر الرسل وكل تلاميذ المخلص سواء فى القرون السابقة أو حالياً إن يسوع يدعو تلاميذه اخوة : « اذهبي واعلمي اخوتى. » (مت ٢٨ : ١٠) لذلك فأنا لا أستطيع أن أفصل نفسى عن إخوة المخلص دون أن أنفصل عنه ، وعلىّ أن أشاركهم فى الإيمان الواحد بنفس المحبة الواحدة .

بدأ الانجيل حادثة غسل السيد لأرجل تلاميذه هكذا : « يسوع وهو عالم أن الأب قد دفع كل شيء إلى يديه .. » (يو ١٣ : ٣) ، لأن إدراك المسيح الكامل لسلطانه الإلهى هو الأساس فى أن يمارس عمل الاتضاع هذا .

ويوضح موقف سمعان بطرس أثناء غسل الأرجل كيف يمكن أن تهجم التجارب على التلميذ المخلص - فنحن نرى بطرس مندفعاً يبالغ فى اتجاهين متضادين . فهو أولا يمتنع عن أن يغسل يسوع قدميه ، ولكنه يعود ويطلب أن يغسل - لا قدميه فحسب - بل أيضا يديه ورأسه . وكثيراً ما نحب أن نحدد للسيد ما يجب أن يعمله معنا ، وكيف ينفذ هذا

فعلا ، لكن يسوع يرغب فى أن نسلم أنفسنا لتوجيهه، وهذا هو الخضوع الودى لمقاصده حتى وإن كنا لا نفهمها .

وإن كنت تتمثل بيسوع وتتمنى أن تغسل أرجل انسان ما ، فى هذه اللحظة ستجد أن المنشفة التى استخدمتها لتجفيف قدميه تصير بالنسبة إليك « منديل فيرونيكا[1] » إذ ينطبع وجه المخلص عليها .

ومع أن يسوع يعرف أن يهوذا سوف يسلمه ، إلا أنه يغمس اللقمة فى الصفحة ويعطيها له قبل الآخرين أثناء العشاء الأخير (يو ١٣ : ٢٦) . وهذا أمر مربك .. هل هذه علامة إدانه أم هى آخر نداءات النعمة ؟ « وبعد اللقمة دخله الشيطان » (يو ١٣ : ٢٧) . وربما يجوز لنا أن نرى فى قبلة الخيانة الأخيرة علامة رحمة من جانب المخلص فلقد قدّم ليهوذا فرصة نهائية .

---

(١) فى التقليد أن فيرونيكا حين جففت وجه المسيح من العرق أثناء حمله الصليب انطبعت صورته فيه .

ولو أننا تفحصنا الظروف التى فيهـا نسقط فى الخطية ، وبالأخص العوامل التى تسبق السقوط مباشرة ، لوجدنا أن السيد يكثر من تدخلاته الخفية حتى اللحظة الأخيرة ، ويزيد من نداءاته الهادئة وحركات النعمة الهابطة علينا ، ولمسات الحب السرى ليدعم إرادتنا الخـائرة . لذلك فتاريخ كل خطية من خطايانا هو بالضرورة تاريخ ظهور تام للرحمة الإلهية. لو علمنا ذلك فلسوف نجد الأدلة واضحة .

— ٣٤ —

يسوع يعطى نفسه

كسر الخبز هو محور المسيحية . وقد كسر الرب خبزاً فى العشاء الأخير وقسمه (مت ٢٦ : ٢٦) ثم صب خمراً ووزعه . ولا يكفى أن نقول أن يسوع أعطانا نفسه بل يجب أن نحدد أنه أعطى نفسه كخـبز مكسور وخمر مسكوب ، أعطى جسده المكسور ودمه المسفوك ، فحمل الله يذبح من أجل خلاص العالم وحياته .

أعطنى يا يسوع أن أتحد معك فى ذبيحتك ، وفى يديك أجعل من حياتى تقدمة تسكب لله والناس . اسكبنى فى كأس كما يسكب الخمر ، واجعلنى كسرة خبز مقسومة بيديك الخصوصيتين ، تمسكها بها ، وتوزعها بها أيضاً . أنا أرغب فى أن تكسرنى أنت يارب ، وفى أن تغرق خطاياى وشخصى فى دمك كيما أموت عن نفسى لأولد لك ولأخوتك من جديد. فما دمت عضواً فى جسدك قدمنى إلى اللـه وهبنى للناس مع جسدك ودمك .

لم تنفتح أعين تلميذى عمواس إلا عند كسر الخبز فعرفا الرب (لو ٢٤ : ٣٠) . إذن فحضور المسيح وكسر الخبز لا ينفصلان ، وكلما حدث كسر للخبز نجد يسوع هناك . ومع أن الانجيل لم يوضح نوع كسر الخبز مع تلميذى عمواس ، هل كان تجديداً لسر العشاء الأخير أم كان مجرد عمل محبة ، لكن ـ على أية حال ـ فمهما كان نوع كسر الخبز هنا : سواء كان سر الجسد والدم المقدمين للناس ، أو الشفقة المقدمة للجائعين ، أو مشاركة الحياة بالمحبة (التى ترمز

إليها الوليمة) ، فهذا الخبز المكسور هو العلامة التى بها يعرف تلاميـذ المسيح . إنهـا علامة عميقة ومركبة وغير محـددة المعالم ، ولكن كسر الخبز بروح المخلص يجعـل حضوره معروفا .

يسوع هو «الخبز النازل من السماء» (يو ٦ : ٣٣) ، ولقد دعاه الانجيل أيضا «خبز الحياة» (يو ٦ : ٣٥) ، ولكن هناك معنى أعمق لكلمة «خبز الحياة» عن كلمة «الخبز الحى» ... فالثانية تعنى أن الحياة صفة من صفات هذا الخبز ، ولكن قولنا « خبز الحيـاة » يعنى أنه ينقل إلينا هـــذه الصفة . خبز الحياة هو خبز يعطى الحياة ويولدها .

يسوع والآب

يضع الانجيل الرابع الحديث الذى يحوى أعمق وأخص تعاليم يسوع بعد العشاء الأخير (يو ١٣ : ٣٣ ... الخ) . وحين أجلس مع يسوع فى عشائه الأخير وأتحد بالحياة المعطاة للناس ، تكون قد أتت اللحظة التى فيها أصغى إلى كلمات خاصة ـ كانت مخبوءة حتى ذلك الوقت ـ وأتقبل ثقة الصديق العظمى ، حينئذ سيكلمنى عن نفسه .

ولكنه لايستطيع أن يتكلم عن نفسه دون أن يتكلم عن أبيه ، فسر يسوع مرتبط بهذه العلاقة البنوية ، وحين لانرى هذا فنحن نقرأ الانجيل ناقصاً ونتجاهل أساسه ومحوره ، ولا نستطيع حتى أن ندرك علاقة المخلص بالناس . لذلك فأولا تأتى علاقة الآب بابنه الوحيد . وفى هذا يقول الانجيل الرابع فى افتتاحيته إن الكلمة كان منذ الأزل « عند الآب » (يو ١ : ١) ، وإذا أردنا أن نترجم النص اليونانى بطريقة

أدق فلنقل أن الكلمة كان « نحو الآب » . يسوع موجه نفسه نحو الآب ، وهو مشدود إليه ، وحياته الباطنية هى حركة محبة نحو الآب ، وهذا التحرك الحى يستوعب ويشرح كل وجود المخلص وسره . « أنا حى بالآب » .. هل هذا يهمنا فى شىء ؟ فلنكمل الآية لنعرف ... أنا حى بالآب ،فمن يأكلنى يحيا بى » (يو ٦ : ٥٨) . هل استطعنا أن نعرف أن كل ما هنالك هو فى حرف الفاء « فمن » ؟ فاتحادنا بالمخلص يعتمد على اتحاده بأبيه ، وعلى مستوى آخر هو نتيجة هـذا الاتحاد وانعكاسه .

ولقد أجمل يسوع هذا المعنى ، وإن كان بطريقة غامضة، خلال حديثه مع السامرية حين قال : « لو كنت تعلمين عطية الله ... » (يو ٤ : ١٠) . يسوع لا يتكلم هنا عن أية عطية خاصة لأن عطية الله هى مجموع البركات والنعم التى يحضرها لنا الابن المرسل من قبل الآب ، ويعطينا إياها فى سخاء عظيم. إذن ، هى فى المقام الأول كل ما يقدمه لنا الآب فى شخص ابنه . وعطية الله هى العطية التى يقدمها الآب — فى إبنه — للانسان .

إن الماء الذى تحدث عنه يسوع مع السامرية ، ذلك الذى يعطيه يسوع فيعيد فى المؤمن « ينبوعا ينبع إلى حياة أبدية » (يو ٤ : ١٤) ، ليس شيئا من حياة المخلص التى تضيع فى الانسان ، إذ أنها حين تعطى للانسان تتخطى حدوده ... بل هو حياة يسوع نفسها ... كل حياته الموجهة نحو الآب والمتجهة نحو الحياة الأبدية التى عنده كنهر يندفع نحو المحيط إن تحرك يسوع نحو أبيه يحمل الانسان معه ، والعدد الذى لا يحصى من قطرات هذا الينبوع تتتابع واحدة تلو الأخرى وهكذا تأتى البركات تباعاً إلى النفس المؤمنة ، « ومن ملئه نحن جميعا أخذنا ، ونعمة فوق نعمة » (يو ١ : ١٦) وبنفس المؤثر تتجمع النعم نحو بؤرة واحدة هى موضوع وجود المخلص : أى نحو الآب .

مجد الآب فى آلام يسوع

من طبيعة الآب أنه يجذب الكل نحوه . ولأن الابن فى الآب لذلك فحين ننجذب نحوه يتم ذلك خلال يسوع وفيه. «لايقدر أحد أن يأتى إلىّ ما لم يجتذبه الآب» (يو ٦ : ٤٤). هذا ماقاله المخلص. ويقرن القديس اغسطينوس ـ فى جرأة ـ هذه الكلمات مع حكمة لاتينية : إن بهجته الخاصة هى التى تجذب كل واحد منا ، والجذب نحو يسوع هو الفرح الخاص بالنفوس المختارة ، وهكذا ندخل فى شركة الاب والإبن .

قال يسوع : « طعامى أن أصنع مشيئة الذى أرسلنى ». (يو ٤ : ٣٤) ، لذلك فتتميم مشيئة الآب هو طعام المخلص، وإن لم يكن الأمر كذلك فلمن يكون المخلص صورة و كلمة؟ إن اتمام مشيئة الآب خلال إرادة المخلص هو طعامنا نحن ، لأننا نجدد قوانا كل يوم بهذا الاهتمام الذى يشكل شخصيتنا

الروحية وينميها ... تلك التى قسمها الله لكل واحد منـــا لأن هذه المشيئة تقودنا إلى النضج الكامل .

لقد كان يسوع يطلب « مجد الآب » فى كل شىء، أى أنه كان يسعى ليعلن الآب . وحتى فى مرض لعازر علمنا المخلص أنه لأجل « مجد الله » (يو ١١ : ٤) . ولهذا ففكرة « مجد الله » كدافع رئيسى لكل عمل كانت عزيزة جداً عند القديسين، بينما تبدو غير مألوفة لدى مسيحيى اليوم. ألا يكون اندماج هذا المبدأ مع فكرنا الحاضر سبب مجد وانتعاش ؟

وعلينا أن نبحث عن فهمنا لمجد الله فى أمور تعتبر ضد غرائزنا الطبيعـية وعاداتنا النفسية إن أردنا أن يكون هـذا الفهم مشابها لما كان عند يسوع ، بل يلزمنا أن نقلب بعض قيمنا رأسا على عقب .

لقد ترك يهوذا علية العشاء الربانى ليسلم سيده وأصبحت آلام المخلص وشيكة الوقوع ... ولكن يسوع يعلن فى هذه اللحظة : « الآن يتمجد ابن الانسان » (يو ١٣ : ١٣) لأن الآلام ستتقـدم له الآن ليتممها . ذلك الموقف الحاسم الذى

عانق به المخلص آلامه يعلن مجد الله ، والقيامة المنتصرة متضمنة فى هذا العمل . إلا أن تمجيد المخلص والآب معاً ظهر أولا ـ وقبل كل شىء ـ فى قبول آلام الفداء .

— ٣٧ —

علاقة الآب بآلام المسيح

قال يسوع : « الآب يحبنى لأنى أضع نفسى » (يو ١٠: ١٧) ، إذن فالآب موجود بعمق فى قرار الفداء المجيد . ولا يشرح المخلص سبب هذا الحب بأن الآب قد ولد الابن، بل يعرفنا أن السبب هو سخاء الابن ورغبته فى أن يكون ذبيحة فدائية . لذلك فنحن نتكشف فى هذه الآية اعلان كيان الآب الذى يبهر ويثير .

وحين قال يسوع : « كما أن الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب ، وأنا أضع نفسى عن خرافى » (يو ١٠ : ١٥) ، كان يكشف لنا عن علاقة تكمن بين إرادته للبذل ومعرفته للاب . فمعرفة الآب تكمل فى نية التضحية بالنفس لأن إلهنا محبة

وعطاء معاً لذلك فالشهيد يعرف الله معرفة حية ، وهو اللاهوتى الكامل بالمعنى الحقيقى للكلمة .

فلنتأمل الآن فى السجود للاب ... ألا نجد تناقضاً واضحا فى الكلمات التى قالها يسوع للسامرية : « تأتى ساعة فيها تسجدون للاب ، لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم، تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للاب بالروح والحق » (يو ٤ : ٢١) ؟ لأنه إذا كانت الساعة سوف تأتى فكيف تكون قد أتت ؟ وإذا كانت قد أتت سابقا فكيف ننتظرها مستقبلا ؟ ولكن كلا الأمرين صواب ...

إن ساعة السجود بالروح والحق لم تأت بعد ، لأن الانقسام مازال موجوداً بين من يؤمنون بنفس الآب ، وحتى بين من يؤمنون بالإبن . ويسوع لا يعامل هذه الانقسامات بتهاون ، ولا يضع السامريين واليهود فى مستوى واحد، فلقد ذكر أن السامريين يسجدون لما لا يعلمون بينما يسجد اليهود لما يعلمون ، وأن « الخلاص هو من اليهود » (يو ٤ : ٢٢) ، وهكذا نجد أن نور المسيح ليس محفوظا بنفس النقاوة بين

كل الجماعات التى تعلن ارتباطها به . أن أورشليم وجرزيم لا زالتا موجودتين .

ولكن الساعة قد أتت ، الساعة التى فيها طغى سجود الروح والحق على كيان هذه المعابد . فبالنسبة للسامرية أتت الساعة فعلا ، وهى قائمة لأنها فى هذه اللحظة فتحت قلبها ليسوع وهى واقفة أمامه . إن ساعة السجود النقى قد أتت بقدر ما يتكلم يسوع نفسه إلينا ، وبقدر ما نستمع نحن إليه ، لأن يسوع يحوى كل الحق . وكل من يستمع إلى يسوع ويقبله يلتصق ضمنا بهذا الحق كله .

يسوع هو صورة الآب الكاملة ، وهو صداه ، وما يعلنه لنا يسوع هو الآب . ولقد بدا يسوع « وديعاً ومتواضع القلب » (مت ١١ : ٢٩) ، ومع أننا تعودنا التفكير فى الآب مستخدمين عبارات القوة ـ وهذا حق لأن الآب كلى القدرة ولكن قلبه وديع ومتواضع كقلب المخلص . إنه وديع لأنه خال من المفاجأة والعنف والغضب ، ومليء بالشفقة والصلاح والمحبة . كما أنه متواضع القلب ليس بمعنى أن ينحنى لشخص

أعظم - كما ينحنى الابن المتجسد أمام أبيه أثناء تجسده - ولكن بمعنى أنه لا يعلق أهمية على المظاهر والاستعراضات فهو يفضل الوسائل المتواضعة ، ويتحد بالنزول الإرادى الذى لإبنه ، ذلك الذى أخذ طبيعتنا وآلامنا . لذلك فعلينا أن نتعلم أن نرى الآب فى هذا النور .

وينطبق كل ما يخبرنا به يسوع عن قلبه الخاص على قلب الآب، لأن قلب الآب أنموذج يعلنه قلب يسوع. ولعل أكثر الصور التى نكونها الاب اشباعا هى صورة القلب والعاطفة ، فهو أول عاطفة انتشرت هنا وهناك، وأول حب يحرك كل شىء : الكواكب والنفوس . وكل نبضة من نبضات هذا القلب تعان عن حركه بها يعطى الآب نفسه لنا وهذه النبضات تدفع فينا دم الابن وحيوية نسمات الروح القدس .

الآب قلب .. وأن نحيا حسب مشيئة الآب معناه أن نحيا خاضعين لهذا القلب ... وأن نتحد نبضات قلبنا بتلك التى للقلب الإلهى .

الكلمة صار جسداً ، ولهذا فللمرة الأولى ينبض قلب

إنسان فى توافق كامل مع قلب الله ... وللمرة الأولى يصنع الحب الكامل للآب نبضة قلب بشرية . وفى يسوع المسيح يوجد التحقيق الكامل لمصير الانسان وغايته ، فللمرة الأولى ينبض قلب إنسانى بالحب الكامل للبشر. هذه قمة غاية الانسان ومصيره ، تلك التى تدوم فى المسيح يسوع دوام الإله المتأنس ذاته . ففى يسوع ـ الإله الحق والانسان الحق ـ نجد الرسالة الانسانية ثابتة ، فقبل التجسد كان الابن يحب البشرية حباً كاملا ، ولكن قلب الله لم يكن قد اتحد بعد بقلب بشرى .

يبقى أن يسوع قد تكلم فى أحاديث العشاء الأخير عن الروح القدس بعد أن أنهى حديثه عن الآب ، فكلا الاقنومين له مكانه فى الدفقات الأخيرة من المحبة والنور . ونحن لا نستطيع أن نلتصق بالابن دون أن نجد الآب والروح أيضاً . ولقد رأى يوحنا الحمامة نازلة ومستقرة على يسوع حين أعلن أنه « حمل الله » (يو ١ : ٣٢ ، ٣٩) ، إذن فالحمل والحمامة متميزان ولكنهما غير منفصلين .

المسيح والروح فى حياتنا

نزل الروح القدس على يسوع فى شكل حمامة (مت ٣ : ١٦) ، وهكذا انكشف لنا وجهان للعلاقة التى بين الروح والمسيح : فمن ناحية ينزل الروح عليه كعطية مقدمة من الآب إليه ، ومن ناحية أخرى يشير الروح إلى يسوع ليعرفه للبشر ويقدمه إليهم . الروح نازل وهابط كعطية وكاعلان للابن الحبيب .

ولقد وصف يسوع رسالة الروح القدس قائلا : « إنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ... يأخذ مما لى ويخبركم » (يو ١٦ : ١٣ ، ١٤) .

ويسوع هو الكلمة ، وكل كلمة إلهية نسمعها قادمة من عند الكلمة فان لدى الآب فكراً ، وهذا الفكر تعبر عنه الكلمة ولكن من هو الروح ؟ إنه النسمة التى تحمل الكلمات ... والصوت الذى ينقل الكلمة ... إنه لسان النار . وهذا الصوت

له تموجات مختلفة فالروح القدس يكيف كلمة الله مبرزاً إياها ومعطيا لها ظلالا حسب احتياجات السامعين ، وبذلك يخلق من النص الواحد معان عديدة مناسبة . وهو يفسر الكلمة بأن يعطيها هذه النغمة أو تلك ، ويحيطها بهـذا الجو أو ذاك ... وبذلك يجعلها خاصة بنا شخصيا ويكسبها صفة فردية. الروح هو الفنان الأعظم الذى يعرف كيف يصحب العبارة الواحدة بتجانس يتنوع بغير حدود . فمثلا نجد أن الموسيقيين المختلفين يعزفون المقطوعة الواحدة بدرجات مختلفة من علو الصوت أو رقته دون تغـير فى النغمات ، وكذلك نرى أيضاً فى اللغـات السامية تغييراً كبيراً فى نطق الأحرف الساكنة بسبب العلامات المتحركة .

إذن ، فى كل حالة يأخذ الروح مما ليسوع ويعلنه لنـا ، فهو لا يقول شيئا من نفسه . ولكن ـ رغم هذا ـ ألا ينسب الكتاب أقوالا معينة للروح ؟ نعم ، لأن كل أمر يعتمـد على الإرادة والعمل ينسب إليه ويعتـبر ملكاً له . فنحن نرى فى سفر أعمال الرسل كيف يتحدث الروح ويصدر أمراً محدداً لنبي أو رسول ، ودائما تكون الأوامر بصيغة مختصرة . إن

ما يقوله الكلمة للعقل تحوله أوامر الروح هذه إلى حركة للارادة . والروح لا يسترسل ويشرح ، بل يركز ويكرر ما يسمعه من الابن ، وغالبا ما يؤكده دون كلمات . إن لغة الروح هى الحرارة والحيوية التى يخلقها فى النفس .

« إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لاتستطيعون أن تحتملوا الآن ، ولكن متى جاء ذاك روح الحق» ... (يو ١٦ : ١٢ ، ١٣) . يسوع ـ اليوم ـ يعيد على أسماعنا ما قاله لتلاميذه . لم تكن لهم القدرة أن يدركوا كل كلمات المسيح لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى لهم بعد ، ولكن الان ـ بعد حلول الروح القدس ـ هناك صعوبات أخرى يمكن أن تمنعنا من فهم كلمة المخلص : عدم مبالاتنا ، وعدم انتباهنا وفتورنا . ولكن المتكلم ومفسره العجيب لا زالا فى متناول أيدينا ، وعلى استعداد أن يسمعانا إياها . لذلك فمع أن الروح يتحدث الينا بكلمات يسوع ، مرة بقوة الرعد وتارة بلطف النسيم أو الطفل الصغير ، إلا أننا « نحزن روح الله » (أف ٤ : ٣٠) بعدم الإصغاء اليه ، وباغراق صوته وطرده الى الوراء . وهكذا تصير خشونتنا حائلا فى طريق إشفاقه .

اللطيف واصراره الرقيـــق . إن قساوتنا لا تحس حفيف أجنحة الحمامة . وهذا ألم الروح الأبدى، فهو الحمامة الجريحة دائماً .

الروح يختفى فى حضور الكلمة ، فكل ما يرجوه هو أن يوصل الكلمة إلينـا . ولسوف يختفى الروح - بطريقة ما - لو أننا حاولنـا أن نحصل عليه مستقـلا عن الكلمة : الروح بدون يسوع والحمامة بدون الحمل ذلك لأنه يسمح بأن يحس ويمسك بشرط أن يكون مرتبطا بيسوع .

والروح - إلى حد كبير - جزء من حياتنا الداخليـة ، بحيث يصير فينا كما لو كان « أنا » حياتنـا الروحيـة . فهو يتكلم باسمنا ويصرخ فينا : « يا أبانا الآب» (رو ٨ : ١٥) إنه يضع يسوع أمامنا ويوحدنا به . وهكذا يبدو - مع كل التحفظات والملاحظات التفصيلية الواجبـة - أن الابن الذى يصيرنا فيه أولاداً للاب بالتبنى هو موضوع حياة نفوسنا ، وأن الروح القدس هو « أنا » هذه الحياة لأنه يتحد بأعمق أعماقنا لنستطيع أن نصل إلى يسوع .

إذن ينبغى أن نتحد مع نزول الحمامة التى أرسلها الآب لابنه الوحيد ، إذ يجب أن نستريح مع الابن الحبيب ونحيط أنفسنا به . وفى الابن - بالروح يجب أن نجد الآب بأن نوحد نفوسنا مع اتجاه المخلص نحو الآب على قدر الإمكان .

— ٣٩ —

الالتصاق بالمسيح

لا زال المسيح يتحدث - أثناء العشاء الأخير - عن حياته مع تلاميذه ، بعد أن تحدث عن حياته مع الآب والروح . فاحدى العلاقتين تعتمد على الأخرى ، وهناك أوجه للشبه العميق بين هاتين العلاقتين المتداخلتين : حياة الآب والابن ، وحياة يسوع وتلاميذه .

« أنا فى الآب والآب فىّ » (يو ١٤ : ١١) ، فاذا ما اعتبرنا اتحاد الآب والابن وضع فى اللاهوت السرمدى ، فان ما يواجهنا بشدة هو وجود يسوع « فى الآب » . وإذا ما أمعنا النظر فى اتحادهما فى العمل الإلهى وفى نظام المخلوقات

فلسوف ننتبه بالأخص إلى هـذه الحقيقة : إن الآب حاضر وعامل فى يسوع .

وبالمثل يخبرنا يسوع: « أنتم فى وأنا فيكم » (يو ١٤:٢) ففى الوضع الأبدى نستطيع أن نلاحظ أنفسنا مندمجين فى يسوع ـ فى جسد المسيح ـ بنوع خاص ، ولكن فى النظام الزمنى والتاريخى ، فى محيط العمل والطاعة فان عمل يسوع فينا وخلالنا هو الذى يبدو أكثر وضوحاً .

« التلميذ الذى كان يسوع يحبه » (يو ٢٠ : ٢) هـو الذى سجل لنا أعظم كلمات المحبـة الحارة التى وجههـا الرب لتلاميذه ، ولأنه كان يتكىء على صدر السيد سمع منه كل ما قاله بصوت منخفض بخصوص من سيسلمه (يو ٢١ : ٢٠) إذن يسوع يكشف أسراره فى حوار ملؤه الثقة لمن يقف منه موقف المحبة العميقة المنطلقة .

علينا أن نطلب الالتصاق بالمسيـح لذاته ، وفى ذاته . وحينئذ نرى أن نور السيد قد أضاء المشهد كله ، وكشف لنا الخطوات العملية ذات الأهمية المطلقة . إن مجرد التقوى

العاطفية ليست هي الالتصاق بالمسيح، لذلك فنحن نضطرب حين نرى بعضاً من الناس الذين سموا « متصوفين » يبقون غير مبالين بأنواع الظلم والقسوة تقع على أناس آخرين بالقرب منهم . أليس البحث وراء الفائدة من تقديم تضحية مكلفة سبباً منع بعض التلاميذ الغيورين المرافقين من فهم غنى المحبة الكامن وراء كسر قارورة طيب كثير الثمن على قدمى المخلص ؟ « لماذا هذا الاتلاف ؟ » (مت ٢٦ : ٨) . حقاً ، ولكن ... « من أضاع حياته ... » (مت ١٠ : ٣٩)

لقد اعتقدت السامرية أن المسيا سوف يعلمهم كل شيء حين يجيء، وها يسوع قد جاء ... « أنا الذى أكلمك هو » (يو ٤ : ٢٦) . وفى الأصل اليونانى « أنا الذى أتحدث معك فى ألفة » بمعنى المحادثة الودية العميقة. هنا يكمن الفرق الكبير بين الحوار الحر المتبادل الذى تعنيه هذه الكلمة وبين التعبير الوقور « أنا هو » ، الذى كثيراً ما عبر به الله عن نفسه فى العهد القديم . يسوع يكشف لنا ذاته رباً ومخلصاً — أنا هو ولكنه يعلن لنا هنا خلال الحوارات الودية البسيطة : « أنا الذى أتحدث معك » .

ولعلنا نرى نفس الفكرة فى حادثة شفاء المولود أعمى ...
« أتؤمن بابن الله ؟ » - « من هو ياسيد لأومن به ؟ » -
فقال له يسوع : « قد رأيته ، والذى يتكلم معك هو هو »
(يو ٩ : ٣٦ ، ٣٧). إن الذى يتحادث معك فى ألفة هو
الشخص المجيد البعيد جداً الذى ينتظره الجميع . فابن الانسان
يريد أن يتحدث معك كانسان لإنسان . إنه فوق كل شىء
وأسمى من كل شىء ... ولكن أنظر كيف يتضع لأجلك
وينزل إلى مستواك .

الالتصاق ... ها الليل يرخى سدوله، والهواء يصير بارداً
وعمرى يقترب من النهاية . إنها الساعة التى وصفها نشيد
الأنشاد (٤ : ١٦) . تعال ، ياحبيبى ، فى برودة المساء ، تعال
إلى الجنة ، ودع الريح تهب ، نسمات روحك القدوس ،
وتعبر على الزهور التى غرستها يداك فينتشر أريجها هنا وهناك

إن أزهارك لكثيرة فى جنات الآخرين، أما فى جنتى فلا
أرى أزهاراً ... فلقد وطأتها بقدمى وتركتها تحترق بالحرارة
الملتهبة ، فلم أنتج إلا شوكا ... وهذا الشوك صار جزءاً من
الاكليل الذى صبغ رأسك يا مخلص بالدم .

ألا ليت أزهارك تحيا من جديد ! أعطني يارب أن تنمو هذه الأزهار من جديد وتترعرع بمعجزة ، بأنفاسك المقدسة . ألا ليت الحبيب يستطيع أن يتنسم مرة أخرى في المساء أطياباً في جنته ،

— ٤٠ —

سلام يسوع لتلاميذه

قال الرب « سلامى أترك لكم ، سلامى أعطيكم » (يو ١٤ : ٢٧) ، وهكذا أعطانا يسوع سلامه ، أى أنه لايعيره لنا لكى يستعيده ثانية . وقد قال « سلامى » لأن السلام الذى فى يسوع يصير تركة نهائية لتلاميذه ، وفى بداية كل يوم أستطيع أن أثبت فى سلام المخلص مهما حمل إلى هذا اليوم من اضطرابات .

ولقد أعطى السيد سلامه لتلاميذه قبل بداية آلامه مباشرة . وحين تواجهت نفسه مع الآلام الوشيكة والموت المحدق ، أعلن سلامه وأعطاه . وما دام يسوع رئيسا للسلام خلال

هذه اللحظات ، إذن فقوة هذا السلام لن تتخل عن تلميذه في لحظات الصراع الأقل شدة .

« ولكن أقول لكم : لا تقاوموا الشر » (مت ٥ : ٣٩) كم تبدو هذه العبارة معثرة وحمقاء في نظر الناس وخصوصاً غير المؤمنين ! كيف يمكننا أن نفسر تحويل الخد الأيسر حين يلطمنا أحد على الأيمن ، وكيف نعطى الرداء أيضاً لمن طالب الثوب فقط ، وكيف نسير ميلين مع من سخرنا ميلاً ، ثم كيف نبارك من يلعننا ؟ هل قد استوعبنا طرق ووسائل محبة الأعداء سواء الشخصيين أو العموميين ؟ « لستما تعلمان من أى روح أنتما ... » (لو ٩ : ٥٥) .

هذه مقاومة للانجيل ... فالخيار هنا ليس بين المقاتلة وعدم المقاتلة ، بل بين المقاتلة واحتمال الألم ، وبالاحتمال يكون النصر . فالمقاتلة تجلب نوعا من النصر المزيف ، فيسوع هو الحقيقة المطلقة ، أما الاحتمال بدون مقاومة فيعبر عن حقيقة يسوع المطلقة . وفى ضوء هذا الفهم نجد احتمال الألم نصراً حقيقياً . لقد قال يسوع : « يكفى » (لو ٢٢ : ٣٨) حين

فقال له التلاميذ عندنا سيفان. ولم يفهم التلاميذ معنى كلام المسيح « الذى ليس له سيف فليبع رداءه ويشتر سيفاً » (لو ٢٢ : ٣٦) ، فلقد كان يسوع يقصد: أنه توجد أوقات فيها ينبغى أن نضحى بألزم ما لدينا كى نركز أبصارنا على هجمات الشيطان، ولكن الدفاع والهجوم هنا هما على الصعيد الروحى.

لقد تقدم يسوع إلى العسكر القادمين بمشاعل وأسلحة ليلقوا القبض عليه (يو ١٨ : ٤) . إنه يمضى نحو آلامه بحرية وطواعية . ثم نراه يشفى أذن عبد رئيس الكهنة التى قطعها سيف أحد التلاميذ (مت ٢٦ : ٥١) ، فلم يكن بهذا يمنع تلاميذه من الدفاع عنه مستخدمين القوة فحسب، بل كان يصلح أيضا ما أتى به السيف من أضرار . انها المعجزة الوحيدة التى آتاها يسوع أثناء آلامه .

والمثل الذى أعطاه يسوع عن عدم المقاومة لا يعنى الموافقة على الشر أو مقابلته بسلبية كاملة ، بل هو عمل إيجابى . إنه جواب المحبة المتجسدة فى يسوع على مؤامرات الأشرار . حقا ، ان النتيجة السطحية هى انتصار الشر ، ولكن فى النهاية

نرى قوة المحبة تنتصر . لقد أعقبت القيـامة الآلام ، ولقـد أسرت مسالمة الشهداء وغيرت المضطهدين أنفسهم . إن سفك الدم هو الذى ضمن انتشار الانجيل . هل هذه سالمة الخنوع الغامضة ؟ كلا ، بل هى لهيب مشتعل ومنتصر . ولو أن يسوع طلب إلى أبيه فى جثسيمانى أن يرسل إليـه اثنى عشر جيشاً من الملائكة لما صارت هناك قيامة ولا عنصرة ؟

— ٤١ —

خصيان لأجل الملكوت

« يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل » (مت ١٩ : ١٢) . والأصل اليونانى لكلمة « يقبل » أقوى من « يفهـم » . وقد وافق يسوع على رأى تلاميذه « إذا كان هذا أمر الرجل مع امرأته فلا يوافق أن يتزوج » قائلا « ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم » (مت ١٩ : ١٠) . لقد أعلن المخلص فكره بوضوح ، ففى عرس قانا الجليل (يو ٢ : ١) بارك

يسوع اتحاد الرجل والمرأة . ولكن فى كلامه السابق مع تلاميذه بين أن هناك أناساً بالذات يكفيهم أن يخطبوا ليسوع وحده فيصير هو عريسهم الوحيد .

يا بنى ... أنا لك وأنت لى . كرر هذه العواطف بقدرما تستطيع ... « أنت لى وأنا لك » . تغذ بهذه الكلمات رغم ماضيك المدنس بالسقطات . ألا تود أن تبدأ الآن لتجعل من كل يوم يمر بك ... يوم عرس لنا ؟ أخاطبك اليوم عن قرب وبتمهل ! إمض الآن إلى رفقائك من البشر ، ولكن احتفظ بسرنا لنفسك .

ها إن الصوت يزداد وضوحاً : « هو ذا العريس مقبل فاخرجن للقائه » (مت ٢٥ : ٦) . إنه على وشك الوصول . فاستيقظى يا نفسي لأنك كنت واحدة من العذارى الجاهلات ، ويكاد مصباحك أن ينطفىء . أين ستجدين زيتا ليشتعل اللهب من جديد . ليس هناك وقت لشراء الزيت ، وهل يغلق باب الوليمة دونك ؟

يا يسوع ... إننى أطلب منك زيتا فى هذه اللحظة الأخيرة

أنا لا أستحق إلا أن ترفضني ، ولكني لا أرتكن إلى أي استحقاق فيّ بل أثق في رحمتك فقط . أعطني بسخاء شيئاً من زيتك ، لأنني لا أستطيع أن أشتري زيتا بعد .

الموت هو الفجر الذي يسبق شروق الشمس الحقيقية إنه لقاء مع العريس ، وها نذا ماض لأقابله وأرى وجهه . سألقي نفسي بين ذراعيه ، ترى ... هل سيلحظني إذا كنت أحتمي فيه ؟ إنه يقف على الشاطيء ، تماما كما فعل مرة في الصباح الباكر إذ كان ينتظر تلاميذه .

كلا ، ليس الموت لقاء مع يسوع ، بل هو اتساع للرؤيا . فحتى قبل موتي ينبغي أن أبقى بجواره واستريح في حضنه وعليّ أن أعبر وادي الدموع بين ذراعيه . ولكن في النهاية لن أكون بعد كفيفاً ، بل سوى أرى الشخص الذي يحملني ، أراه بوضوح كامل ذاك الذي أحسست به في غموض الليل فحبيبك سيقودك إلى النقطة التي فيها يكشف ذاته لك .

قال الرب : « إن أراد أحد أن يأتي ورائي ، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ، ويتبعني » (مت ١٦ : ٢٤) ، وهنا

تظهر الأوجه الثلاثة لتلميذ المسيح : انكار الذات والترك ، وحمل الصليب ، ثم السير فى أثر خطوات السيد .

— يابنى . . اترك كل ما يتعلق بنفسك .

— ياسيد ... هأنذا أعطيك كل شىء .

— لا يكفى أن تعطينى كل ما تملك ... أنا أريدك أنت أعطنى قلبك .

— يارب ... هأنذا أعطيك قلبى... فخذ قلبى و كل كيانى

— والآن يابنى احمل صليبك ... لا أقصد الصليب الذى تتصوره أنت أو تتوق إليه ، بل ذاك الذى سأضعه أنا على كتفيك.

— يا سيد أنا أقبل كل الصلبان التى تريدنى أن أحملها، فقط أعطنى القوة اللازمة لحملها .

— يابنى ... لا تقل « صلبان » كأن هناك عدداً كبيراً منها .. فهناك فقط صليبى أنا ، وصليبك هو صليبى مقدم إليك بطريقة تناسبك وتناسب قوتك . بعض الناس يتحدثون عن

« صلبان صغيرة » ، ولكن ليس هناك شيئا منها ... ومها كان الشكل الذى يأخذه ، فانه صليبي أنا ، يجب أن تحمله .

— يا سيد ... سأحمله إن أعطيتنى القوة اللازمة لذلك .

يا بنى ... لايكفى أن تحمل صليبك وتسير ورائى . حقاً إن من يحمل صليباً فهو يسير ورائى بالفعل ، ولكن عليك أن تتبعنى إلى النهاية . أنت تعرف إلى أين أنا ذاهب ... إلى الجلجثة ... فالصليب أحمله ـ وتحمله أنت أيضاً ـ هو الأداة لحياة مذبوحة حتى إلى الموت . فبعد حمل الصليب يجب أن تنطرح عليه لتسمر فوقه وتموت . هل تنوى أن تبقى معى حتى النهاية ؟ هل تنوى أن تحمل صليبى حتى الجلجثة ؟ وحين تصل إلى هناك ألا تريد أن تشترك فى صلبوتى ؟

— ياسيد ... لست أملك القوة لأصلب معك .

— يا بنى ... « من يضيع حياته لأجلى يجدها » (مت١٦ ٢٥) . أنا أعلم أن التضحية تجذبك ، ولكنك لا تستطيعها ،

وأنا أحب أن أعدك لهـا يوماً فيوماً . فكن مستعداً كل صباح لأن تعانق الصليب الذى يقدمه لك اليوم الجديد. إقبله فى روح الجلجثة وكخطوة جديدة فى طريق الألم .

— ٤٢ —

وقفة تحت الصليب

رفع يسوع نظره نحو السماء ـ قبل آلامه ـ وقال : «أيها الآب ، قد أتت الساعة » (يو ١٧ : ١) . لقـد كان يسوع ينتظر اللحظة التى عينها أبوه ، وها قد أتت الآن . إن إتمام المشيئة الإلهية يستلزم قبولا لها فى الوقت المحدد ، بحيث ينتفى كل تباطؤ أو تسرع .

وأثناء آلامه فى جثسيمانى ـ حيث ظهر له ملاك ليقويه (لو ٢٢ : ٤٣) لم ترفع عنه الكأس ، والمـلاك الذى يقويه يشير إلى ضرورة قبول الكأس .

ولقد حدث مرتين ـ حين ذكر يسوع إسمه للجنود ـ أن سقطوا على وجوههم إلى الأرض (يو ١٨: ٥) ، وهذا يعنى أن يسوع أقوى منهم وأنه أسلم نفسه طواعية واختياراً .

لم نعد نسمع من يسوع كلمات توبيخ للكتبة والفريسيين « أولاد الأفاعى » (مت ٢٣ : ٣٣) و ... « غضب الحمل » (رؤ ٦ : ١٦) فلا مكان لهـا أثناء آلام المخلص ، وبقدر ما تزداد آلام يسوع بقدر ما يثبت أكثر أنه شفوق ورحيم .

ياسيد ... أنت لم تحب الناس أثناء آلامك بدرجة أقل من محبتك لهم قبلها ، ورغم أنك تكره خطيتى إلا أنك أثناء ممارستها تحبنى باهتمام أكثر .

يقول الكتاب أن يسوع فى آلامه « بدأ يحزن ويكتئب » (مت ٢٦ : ٣٧) فلقد اختبر كل ما تتعرض له طبيعتنا من هزات وهجات ، ولكن لاهوته بقى فى سلام كامل إلهى لنفس حـزينة حتى الموت (مت ٢٦ : ٣٨) (من ناحيـة بشرية) .

والتعليم القديم عن المسيح أن طبيعتيه متحدتان فيه بلا انفصال ليس من قبيل الكلام أو المعرفة الباطلة ، ونحن نرى فى ضوء هذا التعليم الصفات الإلهية والانسانية مجتمعة فى يسوع . فلقد تضرب العاصفة سفح الجبل ولكن نور الشمس يسطع على قمته .

« ليس لأحد حب أعظم من هذا ، أن يضع أحد نفسه عن أحبائه » (لو١٥:١٣) ... هذه الكلمات تحوى أكمل وأعمق شرح لآلام المخلص . فأعظم حب هو أقصى حب ممكن ، لأنه يتطلب عطاء النفس إلى الموت ، لذلك فالجلجثة ليست من متطلبات العدل بل من متطلبات الحب

ياسيد هأنذا أقف تحت صليبك مع مريم أمك ومع التلميذ الذى كنت تحبه ، ومع النسوة اللواتى بقين على إخلاصهن لك (يو١٩:٢٥) وإذ أتشجع الآن أنظر إليك وأتفرس فى ذبيحتك ، فأتعلم ما لم أعرف أن أكتسبه من كلمات الانجيل نفسها .

قدماك سمرتا إلى الخشب ، وصليبك هو المعصرة التى تعصر فيها الكرمة الحقيقية . ليس أمامك مهرب من هذا المصير ، بل أراك تنتظرنى هناك على موعد لقاء حددته لى . وإذ سمرت بالصليب ربطت نفسك بهذا الانتظار ، ومهما حدث من جهتى من تأخر فى المقابلة فانك باق هناك فى الموضع الذى اخترته لنفسك .

ذراعاك مبسوطتان مفتوحتان دعوة لكل الناس ، ولن تغلقا ثانية لأن المسامير قد جعلتها فى هذا الوضع ... وضع الدعوة والعناق . وهما يناديانى فى هدوء : « تعال » .

رأسك منكس ، فلقد خفضته فى هدوء إذ قبلت وأتممت المشيئة التى هى مشيئتك أيضاً بقدر ما هى مشيئة الآب والروح وهذه الانحناءة علامة طاعة لما تطلبته محبة الثالوث للبشرية ، كما أنها تتجه نحو من هم أسفل الصليب ... من أحبوك مع من صاحوا فى وجهك « أصلبه » ... (يو ١٩ : ١٥) ونحو من ينتظرون فى أنين متصل ، ومن يبحثون عنك وهم لايدرون .

عيناك مغلقتان الآن ، وفى مشهد باطنى واحد تريان الآب والناس ... فكيانك كله يتحرك نحوهما كموضوعين لحبك .

الدم ينزف من جبينك ويديك ، ومن جسدك المهشم ... ويسيل ببطء فى خطوط طويلة ، وسيجرى من جنبك أيضاً كما لو كان من قلب قد اعتصره ضغط المحبة المتألمة... وها الكأس ينسكب كتقدمة .

إكليل الشوك أدمى رأسك ، وكأن خطايا البشرية قد جمعت فى هذه الدائرة فتراكمت عليك أشواكا . فكل خطايا البشر تجمعت معاً وجاء الكاهن اليهودى ليضعها على رأس الذبيحة... وهكذا وضع الناس خطاياهم بأيديهم على أكرم ما فى جسدك ... على رأسك .

ولكنى أرى حول هذه الرأس أشعة من نور ، فهناك هالة ذهبية تحيط برأسك الدامى . وهذا ما يعطى معنى للمشهد المؤلم ، لأنى إن لم ألحظ هذا النور فلسوف أحصل على صورة ناقصة للمصلوب ، فهو أيضاً رب ومخلص .

يا يسوع ... لا أستطيع أن أتكلم أمام صليبك أكثر من هذا ، ولا أن أفكر أكثر من ذلك . وكل ما أرجوه هو أن تتغلغل صورتك فى أعماقى ، بقدر ما أنظر إليك ، ومع كل نسمة أتنسمها ، وكل نبضة ينبض بها قلبي . فيا أيها المصلوب المضيء أدخل صورتك إلى أعماقى، وسمر نفسك بجسدى، سمرها بروحى . أعطنى أن أحملك معى إلى الأبد محتضناً إياك بكل قوتى ... أيها الحبيب . ومع أن كثيرين لن يفهموا شيئا وسوف يتحدثون عن تصورات مريضة ... إلا أننا معاً!

إنى لك ... وبجملتى بين يديك ... لا أستطيع إلا أن أتمم وأكرر هذه الكلمات . كن ختما لقلبي وحواسى . ليت منظر يديك المبسوطتين على الصليب لا يفارقنى بل يخلصنى وقت التجربة ! أعطنى أن لا ألوث هذا المنظر حتى أقترب من لحظة الموت فى رعدة ولكن بفرح .

يا سيد ... آلامك لم تنته ، وجراحك لا زالت تنزف ! فهم يصلبونك كل يوم . أين ؟ ... فلنقرأ الصحف اليومية فنرى جسدك يسحق ويصلب فى كل مكان وزمان فى شخص أعضائك من بنى البشر .

« هل كنت هناك عندما صلبوا سيدى ؟ ... هذه الترنيمة الزنجية تسألنا سؤالا جوهرياً : هل كنت أنا هنـاك حيث صلبوا سيدى ؟ هل أستطيع أن أتصور جلجثة العصر الحديث باتساعها الشامل ، مع أن تصورى ضيق ومنحصر فى ذاتى ؟ هل أستطيع أن أكون حاضراً فى آلام المسيح التى يحسها كل إنسان يريد الشيطان ابتلاعه ؟ هل أنا هناك حيث الآلام التى يسببها الناس عادة ، وأحياناً باسمك يارب؟ هل أستطيع أن أكون حاضراً حوار المسيح الودى العميق مـــع كل شخص منكوب ؟ وهذا حوار ودى لأننـا من ناحية نرى رأسا بشرية ، ومن ناحية أخرى نرى وجهاً قدوساً مجروحاً ومرذولا ؟ سوف أحضر هـذا الحوار إذا حملت فى داخلى صورة وجهك القدوس .

استمرار آلام المسيح

فلنتأمل الآن فى استمرار وحقيقة آلام المخلص . لقد كبلوا يديه من أجل حريتنا . إنه يحارب عنا ومعنا ، وكثيراً ما يجرح بل يبدو ميتاً فى نفس إنسان ما . وليست معرفته لآلام البشرية نتيجة عطف أو اشفاق خارجى بل نتيجة اتحاد والتصاق عميق بنفس هذه الآلام . لذلك فهى معرفة تذهب إلى أعمق من الضمير الذى يحتمل آلامه الخاصة . يسوع يعرف من الداخل وليس من الخارج ، فهو لا يقف عند حد المعرفة السابقة بل يستوعب الآلام تماماً ، ويأخذها لنفسه كما يأخذ الحديد المحمى النار لنفسه . ونحن نستمد منه وجودنا كاله ، وهذا الوجود عميق وداخلى لدى كل الكائنات وخصوصاً لدى الإنسان ، فهو أقرب من الانسان لنفسه ... نقول هذا دون خلط بين الخالق والمخلوق . لهذا فكل شئ يحدث للانسان – حتى الآلام والخطية – يستمد إمكانية الوجود منه ، لذلك فآلام البشرية كوجه سلبى للوجود تجد

جذورها فى عمق وجود الله . من المؤكد أن الله يدين الشر فى كل صوره ، ولكنه يحس ويعرف آلام البشر بصورة أعمق من أى إنسان فى الوجود ... فهو كاله يعرفها من الداخل إذ قد جاز فيها فعلا .

ياسيدى ... هل كمالك الإلهى يتنافى مع التألم ؟ من الواضح أنه لايتناسب مع الألم بالمعنى الإنسانى الذى يستوجب تحديداً وتخصيصاً بل وتحطيماً لتكامل الفرد . وكذلك ليس هو ألماً مفروضاً من الخارج ... من قوة أخرى . لذلك فالإنسان يستطيع أن يتألم أما أنت ياسيد فلا يمكن أن تحد بأى شىء أو بأى شخص . ونحن لا نقصد انتقاصاً من كمالك الإلهى فنعتبر الألم شيئاً قد فرض عليك فقبلته ، بل نقصد أنك قد أخذت على عاتقك آلام البشرية بدافع من ذاتك وهكذا نرى أن أخذك لهذه الآلام كان عملا حراً من أعمال ألوهيتك وسلطانك دون انتقاص لكمالك الإلهى . حقاً ، إن هذا العمل لايستطيع أن ينقص خارجياً من كمالك الإلهى : أيها المعلم الإله ، ولكنه يستطيع أن يفجره . وأنا أستعمل هنا تعبير « التأثير الخارجى » و « الانفجار » لأن هذه

العمل يستلزم نوعاً من الانفجار الذى ينجم عنه نظام معين فى الوجود . أقصد أن كمالا معيناً ينمو ويعطى مكاناً لبزوغ كمال فى شكل آخر ، أسمى من الأول ... أسمى بقدر ما يكون فى هذه اللحظة منفصلا ومرغوباً فيه من الله . فان كان الأمر كذلك يا مخلصى ... أفلا أستطيع أن أقول — ولكن ... بالتأكيد بطريقة غامضة وشفتين مرتعدتين — أنك تستطيع أن تتألم دون مساس بكمالك ودون انتقاص يفرض على حياتك القائمة المجيدة ؟ آلامك — ببساطة — هى تعبير عن محبتك الإلهية ، التى حملت نفسها حملا ثقيلا بحريتها .

ومع أن آلامك ياسيدى حقيقة تاريخية ، إلا أنها فوق التاريخ ! فهى تخص زمنك الخاص ... زمن المسيح . ونحن نميل لأن نقحم فكرة التتابع فى فهمنا للحياة الإلهية لأننا نعيش فى عالم الأحداث المتتابعة . ولكنك يا إلهى تتعالى فوق الأحداث والتاريخ لأنك أبدى ، لا بمعنى أن الأبدية سلسلة لا تنتهى وخط يمتد إلى ما لا نهاية ، بل بمعنى أن أبديتك الإلهية هى نقطة فريدة فيها الكل حاضر وموجود . فالماضى

والمستقبل يمتزجان فيها مع اللحظة التي نعيشها الآن . ففيك ياسيدي ... الوجود حاضر بكماله ، ومجموع الأحداث الزمنية يذوب في وحدة حاضرة (الآن) ، وهذه تتخطى كل «قبل» و « بعد » ، أي كل الأحداث السابقة والقادمة في خبرتنا الانسانية . لقد حملت يا الله زماننا الانساني معك إلى السماء ... الأبدية الإلهية . لذلك فأبديتك تحوي في داخل كل لحظة من لحظات الزمان البشري ... الماضي والمستقبل ، ولذلك أيضاً فكل آلام البشرية التي حملتها معك على الصليب ، وعملية الصلب نفسها ، ليست مجرد أحداث في الزمن . ففي أبدية حياتك الإلهية تصير الجمعة العظيمة والقيامة حدثاً واحداً ، مع أن الصلب يسبق القيامة في التاريخ .

بالآلام ... انتصر الله على الألم . لذلك فآلامك يارب لاتتعارض مع مجدك وغبطتك . إنها المادة التي تستخرج منها نصرتك الأبدية ، فآلامك تغلبها النصرة فستضيء وتتحلى بها دموعك يجففها الفرح الحار مباشرة ، وبهذا تكون آلامك وقوداً يغذي النيران المشتعلة .

ولكن ... هل أجرؤ يا مخلص أن أقول أنك لا زلت تتألم حتى الآن ، كما كنت تتألم سابقاً . وأن آلامك الحاضرة هى سر أتحدث عنه بالتشبيه والتقريب فقط ؟ فحين أقول أنك لا زلت تتألم ، فهذا لأنى لم أجد كلمة لأعبر بها عن حقيقة أحسها باطنياً . وحين أقول « يسوع يتألم » لا أقصد أن أصف خبرة مشابهة لخبرتى حين أنطق بنفس الكلمة . أهى إذن كلمات لمجرد الاستعارة والحديث ؟ كلا ، بالتأكيد فأعتقد يا ربى أن آلامك الحاضرة حقيقية بل تفوق آلامنا فى حقيقتها . ولكنى لا أفكر فى آلامك مستخدماً مقاييس الآلام البشرية ، بل أقول أنك تتألم لأن هذه الكلمة هى الترجمة الوحيدة - القاصرة - لشىء موجود فى الله . ففيك يارب شىء يقابل آلام الخليقة ، وإن كان بطريقة فائقة لا يعبر عنها.

لماذا ، إذن ، أستمر فى التفكير فى هذا الموضوع ؟ ولماذا أتابع البحث عن كلمات أعرف أنها تمتمة يائسة ؟ هل كل هذا يحمل أهمية خاصة لحياتنا اليوم ؟ ... نعم ... أؤمن بذلك فى عمق ، فلو أننا قبلنا هذا الأمر وتأملنا فيه - ولعلها

يا سيدى تكون رسالة حقيقية ، لو تأملنا فى الأخبار الطيبة التى تخص المسيح المتألم الذى لا زال معنا الآن منتصراً على آلامه... فلسوف يخفف عنا هذا وطأة الآلام البشرية، فالنفوس المتألمة مهيأة لتقبل وعود الفرح .

لذلك نستطيع أن نقول للمرأة التى فقدت وحيدها حديثاً، أو للزوجة الشابة التى فقدت زوجها منذ قليل : « إن يسوع نفسه — فى هذه اللحظة بالذات — يعانى ما تعانيه من ألم ، وينتصر لك عليه إلى الأبد . فالصليب الذى تحملينه كسمعان القيروانى هو صليب مخلصك، وهو يحمله معك الآن فعلا ... ومع أنك لا ترين الآن أنك إذ تحملين الصليب مع المسيح تسيرين فى موكب النصرة ، إلا أن عيناك ستنفتحا فيما بعد وتتحققين من هذا » .

لقد شعر القديسون دوماً أن آلام المخلص لم تك حدثاً بسيطاً فى الماضى ، فعاشوا شركاء فيها ومعاصرين لها بطريقة ما . ولم يهتموا بالتوفيق بين مجد المسيح بعد صعوده وبين آلامه الحالية . إنها أمور لا يمكن البرهنة عليها ، ولكن

لنرجع إلى القديس اغسطينوس لنراه يضع الفكرة هكذا :
« أعطنى إنساناً يحب ، ولسوف يشعر بما أقول » .

لقد ساهم الآب والروح فى آلام الابن ، فالأقانيم الثلاثة تلتزم بمطاليب المحبة التى فى وجوهرهم الواحد ـ الاب يسند صليب المخلص بيديه بينما ترفرف الحمامة فوقها . ولقد كان هناك صليب فى قلب الله قبل أن يرفع خارج أسوار أورشليم وإن كان الصليب الخشبي قد مضى فمازال الصليب الذى فى قلب الله باقياً حتى الان . والحمل المذبوح منذ تأسيس العالم لايتوقف عن كونه مذبوحاً الآن .

« هات أصبعك إلى هنـــا ، وابصر يدى . وهات يدك وضعها فى جنبي » (يو ٢٠ : ٢٧) ... هـذه الكلمات تحوى أكثر من مجرد دعوة لاقناع توما بحقيقة قيامة المخلص بالجسد ..

يا بنى ... أنظر إلى جراحاتى ، فكل الذين يصيحون ضد الحق يريدون أن ينتقصوا من إنجيلى ليصير مجرد حكمة ومثالية . انى المخلص الذى مات على الصليب ، وهأنذا أدعو الذين يستسيغون الانتصار والتجلى والقيامة ويتجاهلون الجلجثة

أن يذكروا ـ بواسطة جراحاتى ـ أن الصليب شرط ضرورى للخلاص .

كما أن جراحاتى تحمل معنى آخر ... فمنذ صعودى تستطيع أن تلمس يدى المثقوبتين وجنبى المطعون . ذلك حين تنحنى بمحبة لتواسى المتألمين والمجروحين من بنى البشر . ففى أوقات الشك أنظر إلى شخص أقل منك ، وعزه فى هذا الألم الغير العادى ... حينئذ سوف تلمسنى أنا . وهكذا تتأكد من حضورى الحى بقدر ما تلمس أعضائى المتألمة .

— ٤٤ —

من يدحرج لنا الحجر ؟

إنه فجر القيامة ... والنسوة ذاهبات فى طريقهن إلى القبر باكراً جداً ، يحملن حنوطاً ، وكن يقلن فيما بينهن : « من يدحرج لنا الحجر ؟ » (مر ١٦ : ٣) ، لأن حجراً كبيراً كان قد وضع على باب القبر . ولقد كان من غير المحتمل — أمام الفكر البشرى — أن تصل النسوة إلى جسد المخلص .

وكثيراً ما يبدو يسوع سجيناً فى نفسى ، وكأنه بلا حراك تماما كما كان فى القبر قبل القيامة . وحجر خطاياى الكبير يجعله هكذا . كم من مرة اشتاقت نفسى أن ترى يسوع قائماً فى نوره وقوته! كم من مرة حاولت أن أدحرج الحجر ولكن بلا جدوى ! إن ثقل الخطية مع ثقل العادات المرتبطة بها كان أقوى جداً ... وكثيراً ما قلت لنفسى فى يأس : من يدحرج الحجر ؟ » .

ورغم ذلك ، النسوة ماضيات فى طريقهن إلى القبر . واقترابهن عمل إيمانى محض . فهذا الايمان — أو هذا « الجنون » — سينال مكافأته ، وعلىّ أن أستمر أنا أيضا فى هذا الرجاء الملتهب . أن الحجر سيدحرج .

ولكن النسوة لم يذهبن إلى القبر بأيد خاوية بل أحضرن معهن أطيابا ليدهن جسد المخلص (مر ١٦ : ١) . إذن فعلىّ أن أحضر شيئا معى — على الأقل كعلامة لنيتى الحسنة — إذا كنت أقصد أن يتدحرج الحجر عن نفسى . وربما كان الشىء قليلا جداً ، لكنه يجب أن يكلفنى بعض التكلفة ... أى أن يكون فيه شىء من التضحية .

والآن ... لقد وجدت النسوة أن الحجر قد دحرج ... بطريقة لم يتوقعنها ، « حدثت زلزلة لأن ملاك الرب نزل من السماء ودحرج الحجر» (مت ٢٨ : ٢) . فلكى يتدحرج الحجر لابد من معجزة مروعـة ـ زلزلة ! لأن مجرد دفعة أو إزاحة بسيطة لن تكون كافية . هكذا أيضا ذلك الحجر الذى يبدو أنه يشل حركة يسوع فى يحتاج إلى زلزلة ... أى إلى انقلاب باطنى عنيف ، وتغيير جذرى كامل . فالأمر يحتاج إلى قذيفة من النور لتهزنى ، وهكذا يقوم المسيح فى إذ يختفى إنسانى العتيق ليعطى مكاناً للانسان الجديد . وهذا الأمر يتعدى التعديل والتنظيم إذ يستلزم موتاً ثم ولادة .

لقد أعلن الملاك للتلاميذ أن يسوع القائم ينتظرهم فى الجليل ، ويسوع نفسه يحدد الأمر قائلا : « اذهبا ، قولا لاخوتى أن يذهبوا إلى الجليل ، هناك يروننى » (مت ٢٨ : ١٠) . لماذا هذه العودة إلى الجليل ؟ هل قصد يسوع أن يحمى تلاميذه من عداوة اليهود ؟ أم أراد أن يؤكد لهم أن بعد اضطرابات آلامه ستأتى أيام سلام وهدوء ؟ ربما ... لكن يبدو أن هناك سببا أعمق .

لقد قابل يسوع تلاميذه فى الجليل، وهناك سمعوا دعوته وبدأوا فى اتباعه، إذن فذكريات تلك الأيام تحفظ فى نفوسهم نضارة وانتعاشاً . وبعد ما بدا منهم من ضعف وعدم أمانة أثناء آلامه ، أراد يسوع أن يعيدهم ثانية إلى النضارة الأولى والحرارة القديمة ... أراد أن يجدد عواطفهم وعزيمتهم التى كانت أثناء اللقاء الأول ، ففى جو الجليل الذى أعاده الرب للحياة من جديد ـ سيكمل إعلانه لهم .

وهناك « جليل » فى حياة كل منا ، أو على الأقل بين أولئك الذين قابلوا المخلص يوما وأحبوه . هذا الجليل هو الوقت الذى أحسست فيه بالرب وهو ينظر إلىّ ويدعونى باسمى . ومنذ ذلك الوقت توالت الأعوام الطوال ، ربما محملة بخطايا كثيرة ، ويبدو الأمر وكأنى قد نسيت يسوع . ولكن رغم هذا ، فمن يقابل يسوع ـ ولو مرة واحدة ـ لا يستطيع أن ينساه أبداً . وها يسوع يدعونى كى أمضى إلى « جليل » حياتى وأحيى من جديد ذلك الحب والالتصاق الذى تميزت به تلك الأيام الأولى . وهناك سأراه من جديد .

يا سيد ... أحب أن أعود إلى الجليل ، ولكن هل سأقابلك هناك ؟ كيف يشتعل قلبى الذى صار بارداً ؟ هل مجرد تذكر « جليل » حياتى يكفى كى أستعيد عواطف لقائى الأول معك ؟

« هو يسبقكم إلى الجليل ...» (مت ٢٨ : ٧) ... يا بنى لاتفكر فى لقائنا الجديد بألم ، فأنا سأكون أمينا فى الوعد الذى قطعته معك . وسأصنع أكثر من مجرد انتظارك فى « جليل » الذكريات ، أنا أسبقك لأقودك هناك . وحينما تثبت قلبك من جديد على الجليل ، فالشخص الذى يقودك ، سيعرفك بنفسه ويتحدث معك ..

— ٤٥ —

أشكال يسوع المتنوعة

ظهر يسوع بعد القيامة فجأة لتلاميذه ، ولم يصرف وقتا طويلا فى عتابهم أو تأنيبهم على نقصهم وعدم إيمانهم ، ولا هم أضاعوا الوقت فى الاعتذارات المستفيضة وشرح الموقف . بل حدث كل شيء فى بساطة وألفة : « هل

عندكم طعام » (لو ٢٤ : ٤١) ... « فقدموا له جزءاً من السمك المشوى مع شهر عسل » (لو ٢٤ : ٤٢). فبدأت الحياة تعود طبيعية كما كانت ، من نفس النقطة التى قوطعت وتوقفت فيها .

إذا حدث أنى خنت يسوع وتركته فالأمر لا يستدعى أن أقلق كثيراً فى إعداد ظروف المقابلة التى سأتوب فيها . بل علىّ فقط أن أعيد إدخال السيد إلى حياتى اليومية ، وأضعه فى الظرف الحاضر ، وأدمجه فى المشكلات والآمال الخاصة بهذه اللحظة . يكفى أن يكون الوضع تقديم نصيب ليسوع من السمك والعسل اللذين نأكلها يوميا . وللوقت سوف يستعيد يسوع مكانه على المائدة ، ويشاركنا حياتنا من جديد . هذا يحدث فى لحظات ، ولكن علينا أن نفعله فى اتضاع وتوبة . فالوضع الخارجى سيكون بسيطاً وسهلا ولكن يلزمنا انسحاق داخلى وخضوع وتذلل وانسكاب .

« ثم ظهر فى شكل آخر ... » (مر ١٦ : ١٢) ... لقد كان يسوع يظهر بعد قيامته لأناس كانوا يعرفونه(يو ٢٠: ٢٠).

ولكن فى أشكال جديدة بحيث أنهم لم يميزوه لأول وهلة . فمريم - عند القبر - ظنت أنه البستانى (يو ٢٠ : ١٥) ، وفى طريق عمواس ظن التلميذان أنه مسافر عادى (لو ٢٤ : ١٣ الخ) والرسل على بحيرة طبرية لم يعرفوا ذلك الغريب الواقف على الشاطىء (يو ٢١ : ٤) إلى أن قال يوحنا لبطرس : « هو الرب » (يو ٢١ : ٧).

ترى ... لماذا هذه التغيرات فى شكل المخلص ؟ ... لقد قصد الرب أن يوضح لنا أن حضوره الجسدى لم يعد محدوداً - كما كان قبل قيامته - فى مكان وشكل معينين . بل أضحى حضوره كونياً ، عاماً وشاملا من حيث المكان والشكل ، بحيث صار من الممكن أن يقترب كل انسان فى كل مكان من جسده الممجد .

وهناك أكثر من هذا : أن يسوع قد ظهر عدة مرات فى شكل شخص غريب ليؤكد أن مسيح التاريخ الذى صعد إلى السماء قد ألبس الطبيعة الإلهية قسمات إنسانية يسهل علينا أن نتكشفها . فلقد أعلن لتلاميذه قبل موته بوقت طويل أنه

كان جائعا وعطشانا ، وكان عريانا ومريضا ، وغريبا ومسجونا فى أولئك الذين أطعمناهم وسقيناهم ، وكسوناهم واعتنينا بهم ، وآويناهم وزرناهم. وكذلك فى أولئك الذين احتاجوا إلى هذه الأمور ولم تقدمها لهم . «بما أنكم فعلتموه بأحد اخوتى هؤلاء الأصاغر ، فبى فعلتم » (مت ٢٥ : ٣٥)

لن يكون الله ومخلوقاته متساويين أبداً ، ونحن لسنا كالمسيح بالطبيعة ، ولكننا كذلك بالمشاركة والنعمة . نحن أعضاؤه ، وتحت هذه الصورة يمكن أن يظهر يسوع ويرى ويلمس . لهذا يقول يسوع لهذا الجيل الذى يزعم الواقعية ويرفض الخيالات : « أنظر يدى ورجلى » (لو ٢٤: ٣٩). فاليوم - وعلى هذه الأرض - ليس ليسوع يدان ورجلان إلا تلك التى للبشر . وإذا لم تستطع أن تصعد إلى يسوع بالصلاة، اترك منزلك وانزل إلى الشارع ، وفى الحال ستجده فى شكل العابرين أمامك .

وفى هذه الاشكال ننال إمكانية اللقاء المستمر بيسوع ، مخلصى يظهر ذاته لى فى المكتب والمتجر ، فى المخزن

والأوتوبيس، فى طابور الناس المنتظرين وفى أولئك المندفعين فى طريقهم بسرعة . نحن نجد المسيح فى كنائسه ، ولكن عند خارج هذه الأماكن المقدسة يجب أن نبدأ بحثنا عن يسوع واكتشافنا لشخصه فى شكل اخوته . وهذا الاقتراب من المسيح يكون فى روح الاتضاع سهلا جداً وصعباً جداً فى آن واحد - سهلا لأن يسوع هناك فى كل واحد ممن يحيطون بنا ، وصعبا لأن ما يبدو شائعا وعاديا فى الحياة اليومية يحتاج إلى جهد كبير . ربما كان سهلا أن نرى يسوع المسيح فى خاطئة أو خاطىء من أن نراه فى شخص عادى يضايقنا وفى كلتا الحالتين نحتاج أن نحرر المسيح « من قيوده » . فمن جهتنا ، لابد من الإيمان والتكريم والحب واعطاء الذات - على الأقل بالإرادة - إن لم نعط الفرصة لنتخدم بطريقة عملية هذا « المسيح » العابر أمامى . وفى كل خطوة نخطوها نستطيع أن « نجلى » البشر إذا ما رأينا فيهم الوجه المقدس الذى غالبا ما يكون مشوها . فقد قال القديس ذهبى الفم : هناك مذبح بشرى حتى فى كل شارع ومفترق طريق ، مقدس أكثر من المذبح الحجرى ، فالثانى يقدم عليه المسيح أما الأول فهو المسيح نفسه !

الآيات تتبع المؤمنين

قال يسوع : « الايات تتبع المؤمنين » (مر ١٦ : ١٧)، ولم يقصد التلاميذ فقط ، بل كل من قبلوا الانجيل . وقد حدد المسيح نوع هذه الآيات : إخراج الشياطين باسمه ، التكلم بألسنة جديدة ، وشفاء المرضى .

ترى ... هل أخذنا هذا الوعد بطريقة جدّية ؟ وهل نتقدم فى حياتنا هنا بقوة المسيح؟إنه موضع إيمان. هذه القوات تعطى « للمؤمنين » فهل أنا أؤمن بهذا بنفس المعنى القوى الذى قصده الانجيل من هذه الكلمات ؟

آه يا يسوع مخلصى ... « أعن عدم إيمانى» (مر ٩: ٢٤). زد إيمانى . بل - فى جرأة أضيف - أعطنى الامكانيات التى وعدت بها من يؤمنون كى يخدموا بها مجدك والنفوس أيضاً. وإنى لأطلب ذاك مستجيباً لروح رسولك بولس إذ يطلب من الجميع أن يجدوا للمواهب الروحية (١كو ١٤ : ١) .

ليس لمجرد أن أتلذذ بقوة روحية أو أثير اندهاش الناس بالآيات ، بل لأجل مساعدة الغير والشهادة لك .

عاد يسوع إلى أبيه ، وهو يريدنا أن نكون حيث هو الان « اليوم تكون معى فى الفردوس » ... هكذا جاوب الرب اللص المصلوب (لو ٢٣ : ٤٣). قال « معى » والأصل اليونانى META وليس SYN) وهو لا يعنى مجرد المصاحبة والوجود معاً ، بل معنى الوجود المشترك والحياة المشتركة . فليس أن نقول عن اللص أنه سيكون حيث يكون يسوع بل أنه سيشارك يسوع فى حياته عينها . وهكذا سيكون الأمر معنا ، لو اتبعنا سيدنا حتى النهاية .

إننى لن أراه فقط ، بل سوف أشاركه حياته المجيدة أيضاً . وهذا يمكن أن يبدأ منذ الان ... « اليوم » . يمكن أن يكون الفردوس مفتوحاً أمامى اليوم . إن لم يكن بكل اتساعه فعلى الأقل جزئيا ، بقدر ما أتعلق بالمسيح . إن حياة التلميذ هى صورة ذات جزئين ، طالما أن السيد معنا هنا ومع الآب فى آن واحد . فالحياة السماوية هى مجرد امتداد وتعمق للحياة فى يسوع. وحياتى بعد الموت ستؤكد وتثبت اختيارى

هنا . إذن ، فاليوم بالذات أستطيع أن أبدأ وجودى فى الفردوس مع يسوع .

« وفيما هو يباركهم ، انفرد عنهم وأصعد إلى السماء » (لو ٢٤ : ٥١) ... هذه الكلمات تصف علاقتنا بيسوع بعد الصعود « فيما هو يباركهم ... » ، إن جسد المخلص الممجد قد انفصل عنا ، وأصعد إلى يمين الآب ، ولكن يسوع يحتفظ بروابطه معنا ويشترك فى مجهوداتنا ، وفى نفس لحظة الصعود نراه يباركنا . إذن فالصورة الكاملة للمخلص تشمل صعوده إلى السماء مقترنا بمباركته الدائمة لتلاميذه وأعمالهم ... هذه اللفتة التى توحد السماء بالأرض.

كانت آخر كلمة قالها المخلص وسجلت فى الأناجيل هى « اتبعنى أنت » (يو ٢١ : ٢٢) ، وهى الكلمة الأولى التى وجهها السيد لبطرس على الشاطىء (مت ٤ : ١٩) ، كما أنها الكلمة الأخيرة التى وجهها له على شاطىء البحيرة . وهذه الكلمة تحوى كل شىء .

وحين دعى بطرس لم يكن يفهم مضمون معنى « اتبعنى »

ولكنه صار يفهمها بطريقة أفضل بعد الآلام والسقوط . ولكنه - مع ذلك - سوف يفهمها تماما حين يستشهد « آخر منطقك ... » يو (٢١ : ١٨). ففى مساء الحياة لا يكف يسوع عن ندائه المؤثر الرحيم « اتبعنى أنت » حتى وإن كانت حياة مليئة بالسقطات والخيانات - كما كان فى صباحها لا يسكت يسوع عن ندائه الملزم .

- يا سيد ... لقد استمعت كثيراً إلى ندائك ، ولسنين عديدة خلت ! ولقد بدأت الطريق مرات وسقطت ثم نهضت لأسقط ثانية . ولا أستطيع أن أدعى أني تبعتك ، فكثيراً ما فقدت رؤيتك أمامى ، ولكننى - رغم ذلك - كنت أشعر دوما أنك موجود .

- قم ثانية ، وابدأ من جديد .

- هل معنى هذا أنك لم ترفضنى ياسيدى رغم خيانتى المتكررة ؟

- تعال ورائى ... واتبعنى .

- ياسيد، ليتك تعطينى وربما للمرة الأخيرة نعمة دعوتك؟

- نعم يابنى الصغير ، هل تريد حقا أن تأتى ؟ تعال ...

- ياسيد ، أنا فى الطريق الان ...

يطلب من

مكتبة كنيسة مار جرجس باسبورتنج .

مكتبة مجلة مرقس بشبرا .

